



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



مطبوعة مقياس الأدب الشعبي المغربي

مطبوعة موجهة لطلبة السنة الثالثة
ليسانس أدب عربي اختصاص دراسات أدبية
السداسي السادس

إعداد الدكتورة:

نسبية مساعدية

السنة الجامعية: 2019-2020

لم يكن تطور مجال الدراسات الشعبية بالأمر السهل أو الهين، بل كان نتاج مخاض معرفي وأيديولوجي وإنساني على نطاق واسع، فالبداية كانت محاولات فردية بجمع المدونات والمواد التراثية، خوفاً عليها من الضياع والاندثار، ثم استقر مبدأ العناية بالتراث الشعبي بشقيه المادي واللامادي في صدور وأذهان المهتمين به من مختلف أصقاع العالم، بعد ذلك توالت الجهود الفردية في الجمع والتصنيف والدراسة، إلى أن تكاثفت وأسهمت في ظهور مؤسسات رسمية تُشرف على الأمر وتقوم بوضعه موضع المناصب من الدراسة العلمية الأكاديمية، موازاة مع الهيئات والجمعيات الأهلية التي تُعنى بالدراسات الشعبية على مستوى ضيق وطني، أو متوسع دولياً.

بالنسبة للجزائر فالاهتمام بالدراسات الشعبية خرج من النظرة الاقتصائية الاختزالية، إلى النظرة الشمولية التي ترى في الدراسات الشعبية مكسباً هاماً في الاهتمام بالهوية الوطنية والحفاظ عليها، وكذا معرفة الأشكال الأدبية وسبل تطويرها، بخاصة مع ظهور المدارس الفكرية والنظريات الأدبية والمناهج النقدية، كل هذا سمح بانتشار البحوث الأكاديمية والمؤلفات التي تُعنى بالأدب الشعبي بخاصة، أو الدراسات الشعبية المادية والمنطوقة.

وقد تم استحداث مقاييس تُسند لها مهمة تعريف الطالب بالإرث الإنساني، أو الإرث الشعبي، كما هو الحال بالنسبة لمقياس الأدب الشعبي المغاربي، الذي يفتح على معرفة خصوصية النصوص الشعبية النثرية منها والشعرية، وذلك بمادة معرفية تُحيط بالموضوع من خلال محاضرات تكون مُوجهة لطلبة السنة الثالثة أدب عربي اختصاص الدراسات الأدبية في السداسي السادس.

وقد تم جمع ما يتصل بالمادة العلمية لهذا المقياس وتوزيعها حسب مفردات المادة الوزارية، والتفصيل فيها بما يتناسب مع مستوى الطلبة، وتشجيعهم على الخوض في بحوثهم الجامعية بموضوعات تصب في مجال الدراسات الشعبية الجزائرية أو المغاربية، وحتى العربية في إطار موسع أكثر فأكثر.

مفردات المادة

عنوان اليساناس: الأدب العربي
 الأستاذ المسؤول عن الوحدة التعليمية الأساسية:
 الأستاذ المسؤول على المادة:
 المادة: الأدب الشعبي المغربي
 أهداف التعليم:
 المعارف المسبقة المطلوبة:
 محتوى المادة:

المادة: الأدب الشعبي المغربي /محاضرة و تطبيق	السداسي: السادس	المعامل: 2	الرصيد: 4
مفردات المحاضرة	مفردات التطبيق		
01	الأدب الشعبي. المصطلح والمفهوم	قراءة في نصوص مفاهيمية	
02	الأدب الشعبي والفولكلور	قراءة في نصوص مفاهيمية	
03	تصنيفات الأدب الشعبي	بحث بيليوغرافي	
04	أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي	بحث بيليوغرافي	
05	الشعر الشعبي الملحون ومجالاته	نصوص مختارة	
06	القصص الشعبي وأنواعه	نصوص مختارة	
07	الاجاني الشعبية ومجالاتها	نصوص مختارة	
08	السير الشعبية	سيرة بني هلال (تغريبة بني هلال)	
09	الأمثال الشعبية	نماذج مختارة	
10	الألغاز و النكت الشعبية	نماذج مختارة	
11	الأسطورة و الخرافة	نماذج مختارة	
12	مناهج تحليل الأدب الشعبي (التاريخي الجغرافي 'النفسي' الوظيفي، 'النبوي')	تطبيقات نقدية	
13	الصورة الفنية في الأدب الشعبي	دراسة نماذج	
14	العجائبية في الادب الشعبي	دراسة نماذج	

طريقة التقييم:

يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلًا طوال السداسي

المراجع: (كتب، ومطبوعات ، مواقع انترنت، إلخ).

1. الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي /مصطفى حركات
2. الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة /أحمد زغر
3. أشكال التعبير الشعبي /نبيلة إبراهيم
4. الأدب الشعبي العربي مفهومه و مضمونه /محمد ذهني
5. القصص الشعبي بالمغرب دراسة مورفولوجية /مصطفى يعلى
6. الأدب الشعبي في تونس /محمد المرزوقي
7. البطل الملحمي و البطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري /عبد الحميد بورايو
8. المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون /جلول يلس دامقران

كثيرة هي الدراسات في الآونة الأخيرة المهمة بالتراث الشعبي بصفة عامة وبالشق المنطوق منه بصفة خاصة والمتمثل في الأدب الشعبي بمختلف أجناسه وموضوعاته وعناصره الفنية والذي يمتاز بمقومات متنوعة تحفز الباحث أيا كان توجهه على البحث فيه والإستفادة من انفتاح المعارف العلمية الإنسانية لتوسيع مدار الدراسات.

وفي هذه المحاضرة سنتعرف على مفهوم الأدب الشعبي وأهم قضاياها ومرتكزاته الفنية؟

1- المصطلح والمفهوم:

لا يخفى على أحد الإشكال الذي تتشارك فيه مختلف المعارف الإنسانية وهو أزمة المصطلح، هذه الأزمة التي تعيق البحث وإستجلاء المفاهيم والإبتعاد عن النظرة السطحية أو الفوقية لبعض المعارف، ذلك أن الباحث يجد بعض الصعوبة في تحديد المصطلح الأنسب والأكثر تعبيراً عن المادة العلمية التي يقوم بدراستها نحو الأدب الشعبي الذي رافقته إشكالية تحديد المصطلح إما فيه بصفة عامة أو مجموعة من أجناسه، ففي بداية الإهتمام به إلتبست عدة مصطلحات ألصقها الباحثون فيه نحو: العامي، الطبيعي، اللهجي... إلى غيرها من التسميات.

وعلى إختلافها إلا أن الدراسات المستفيضة والمعقدة بهذا الجانب وجدت أن مصطلح الشعبي هو الأنسب لذلك النوع من الأدب، فلا يجوز اعتبار تسمية العامي لأنها تهتم بالجانب اللغوي فيه فقط ولا نقول الأمي لأنه ليس كل من كتب في هذا الأدب هو أمي، بل أننا نجد أهم الكتاب يدعوا في الكتابة الشعبية وهم على قدر كبير من الثقافة والمستوى الأكاديمي العالي.

ونختار الشعبي وهي صفة لصيقة بهذا الأدب دلالة على أنه من إنتاج الشعب وموجه إليه ومتغلغل فيه، فالشعبية تبرز شدة إرتباط الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه، وينقل الإرث الأدبي من جيل إلى جيل ويكون أكثر حرصاً على إستمراريته وتداوله لأزمان لاحقة.

صفة الشعبية كما عبرت عنها الباحثة نبيلة إبراهيم في كتابها أشكال التعبير في الأدب الشعبي «نتاج جماعة بعينها وليس الشعب بأسره تلك الجماعة هي الجماعة المبدعة ... والتي تنقسم إلى ثلاث فئات (الفئة المنتجة) - (الفئة المشكلة أو المبدعة) - (الفئة المفسرة) ... الأدب الشعبي هو الصورة النهائية التي يسفر عنها تضافر جهود تلك الفئات جميعها لأنها تخلع عليها ثوبها الذي نراها نحن عليه»¹.

سنورد في هذا المقام الآن بعض التعريفات الخاصة بالأدب الشعبي قصد إستخلاص جملة من المفاهيم حوله وتحديد شكل واضح ودقيق.

عرّف الباحث محمد المرزوقي الأدب الشعبي على أنه «الأدب المجهول المؤلف، العامي اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية»²، يتحدد من هذا التعريف أن الأدب الشعبي بحسب المرزوقي كل أدب لا يعرف مبدعه الأصلي فيتداول ضمن نطاق المجموعة على أساس أنه أديمها، وهو الأدب الذي يتوسل اللغة العامية للتعبير عن قضاياها وهذا الأمر ليس دائما فكثير من الإبداعات الأدبية لم تقتصر في عملية إنتاجها على اللغة العامية بل اللغة الفصحى نحو ألف ليلة وليلة وبخلاء الجاحظ، المقامات كلها مكتوبة باللغة العربية الفصحى ومع ذلك تشترك في مجموعة خصائص يبني عليها الأدب الشعبي من بينها شديد الصلة بالواقع والتعبير عن رؤى وتصورات كافة أطراف المجتمع أو المجموعة الشعبية.

أما الباحث عبد الحميد محمد في كتابه روح الأدب «الأدب الشعبي رباط وثيق بكل أمة، يولد معها ويتزعرع بجوارها ويتربى في تربتها ويرضع ثديها، ويجتر كل الحياة حلوها ومرها، بلا تباطؤ، فإذا هو بعد ذلك أدب شعبي متين بالإلتصاق بهذه الأمة، مكين في روحانياتها، متشبث في قاعدتها، غائص في أعماقها، فيصير ترجمة لها وعنوانا»³، يعتبر

¹-ينظر نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، ص4.

²-محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، 1967، تونس، ص49.

³-عبد الحميد محمد، روح الأدب، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، السودان، ص13.

الباحث أن الأدب الشعبي متين الصلة بكل أمة من الأمم، يُعبر عنها ويمثلها فهو مرآة عاكسة لكل ما يتعلق بالحياة الإنسانية، يترجم مشاعر الفرح والحزن والتصورات التي تكونها الأمة حول الحياة، فالأدب الشعبي يعكس الواقع والمواقف والمشاعر الإنسانية.

وبالعودة أيضا لصفة الشعبية يقول الباحث محمد سعيدي «الشعبي هو ما اتصل اتصالاً وثيقاً بالشعب إما في شكله أو مضمونه، أو أي ممارسة إتصفت بالشعبية تعني أنها من إنتاج الشعب أو انها ملك للشعب»¹.

فكل أشكال الأدب الشعبي تتصف بالشعبية ولا تنفصل عنها، وتحيا ضمن المجموعة التي تتداوله وتتوارثه جيلا بعد جيل، ويفصل الباحث عبد الحميد محمد حول مدلول الأدب الشعبي الذي يؤكد على الرغم من اختلاف الباحثين حوله إلا أنهم «متفقون على أنه الكلام الذي يعبر أو أنه نتاج الملايين من هؤلاء الأفراد والجماعات جيلا بعد جيل، ومعنى ذلك أن الأدب الشعبي لا يمكن أن يكون ثمرة بعينه مهما أو حتى هذه البراعة الفنية ما يجعله قادرا على تصور الحالات النفسية التي مرت بالشعب في الوطن الذي ينتسب إليه، ومعنى ذلك أن الفنان الشعبي يتداخل فنه في فن المجموع ويصبح جزءا منه، ولكن فنه مع هذا يظل محبوبا إلى النفوس، سريع الذيوع بين الجماعات»².

من هذا القول نستشف ملاحظة مهمة وهي أن المبدع الشعبي يتداخل إبداعه مع الجماعة الشعبية التي تتلقى إنتاجه وتعمل على تداوله وتوارثه وهنا يصبح ملكا جماعيا يتحد فيه الإبداع بين المرسل والمرسل إليه.

والطرح ذاته نجد فيما إعتده الباحث أحمد رشدي صالح في تعريفه للأدب الشعبي قائلاً «إن الأدب الشعبي ينبعث من عمل أجيال عديدة من البشرية عن ضرورات حياتها وعلاقاتها

¹-محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، د ت، الجزائر، ص9.

²-عبد الحميد محمد، روح الأدب، ص12.

من أفرانها وأحزانها، وإنما أساسه العريض فقريب من الأرض التي تشقها الفؤوس، وأما شكله النهائي فمن صنع الجماهير المغمورة المجهولة، أولئك الذين يعيشون نصف الواقع»¹.

ومن التعريفات أيضا التي بحثت في موضوع الأدب الشعبي نأخذ تعريفا للباحث محمد عيلان «هو أدب الأمة الشفوي سواء أكان مجهول المؤلف أو كان معروفا، المعبر عن عواطفها وآمالها ونظراتها في الحياة، في شكل نصوص موروثة أو حديثة معروفة، يعبر بلغة مشتركة بين أبناء الأمة الواحدة على إختلاف لهجاتهم وتعدد مناطقهم ومناحيهم»²، لخص هذا التعريف أهم العناصر التي يقوم عليها الأدب الشعبي وينفرد بها والتي تمنحه تحديدات مفهومية ومصطلحية.

2- خصائص الأدب الشعبي:

- المبدع يكون معروفا أو مجهولا.
- بالدرجة الأولى يكون شفويا وتطور اليوم ليصبح مكتوبا أيضا.
- العفوية والتلقائية والإبتعاد عن أي شكل من أشكال التكلف والتعقيد.
- لغته اللهجة المشتركة.
- متداول ومتوارث جيلا بعد جيل.
- شديد القرب بالمجتمع وأكثر قدرة على التعبير عنه.
- المرنة، فنصوصه قابلة للتغيير والإضافة حسب السياق.
- يجمع بين الذاتية والجماعية.

¹- أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة للنشر، ط3، 1971، مصر، ص9.

²- محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2013، الجزائر، ص44.

خاتمة

نستنتج أن الأدب الشعبي تنوعت مصطلحاته إلا أن أقربها وأدلها على مكوناته هو الأدب الشعبي على الإطلاق، كما أن مفهومه بدأ يتضح ويتشكل بصورة أدق مع كثرة الدراسات المهمة به ومهما اختلفت التعريفات فإنها تصب في إطار أن الأدب الشعبي مرآة عاكسة للمجتمع في جميع مجالاته وآماله وآلامه وأفراحه وأحزانه.

بعد التعرف في المحاضرة السابقة على مفهوم الأدب الشعبي، وتحديد المصطلح الأنسب والشامل لمقوماته البنائية والفنية والموضوعاتية سنتعرف في هذه المحاضرة على أهم المعارف أو العلوم التي تتقاطع مع الأدب الشعبي، وعلى رأسها الفلكلور والانثربولوجيا سنحدد كل مصطلح بمفهومه على حدا، ثم بيان التقاطعات فيما بينهم.

1. الأدب الشعبي:

حظي الأدب الشعبي بإهتمام بالغ في الآونة الأخيرة من قبل الدارسين والباحثين، فتتوعدت الأبحاث والمدونات وشملت على مختلف أجناس الأدب الشعبي ومن التعريفات نجد ما ذكره الباحث محمد المرزوقي «بالنسبة إلينا نحن العرب يشمل الأدب الشعبي عندنا في هذه الأغاني التي تردد في المواسم والأفراح والأقراح، وفي المثل السائر، وفي اللغز، وفي هذه النداءات المسجوعة والمنظومة على السلع وغيرها، وفي النكتة والنادرة، وفي الأساطير التي تقصها العجائز، وفي القصة الطويلة كألف ليلة وليلة، وفي السير كسيرة بني هلال وفي التمثيليات التقليدية»¹.

يرى المرزوقي أن الأدب الشعبي يشتمل على السير والتمثيليات والأساطير والنكت والنوادر والقصص والمثل والأغنية ومختلف التعبيرات الشعبية الفنية.

ويُعرف أيضا بأنه «أدب غني بالمغزى والرموز التي التي تكشف عن تجارب الفرد الشعبي مع نفسه ومع الكون كله»²، فالأدب الشعبي يحمل رؤى وتصورات الفرد والمجتمع حول القضايا الاجتماعية والدينية والسياسية والإقتصادية والنفسية، أي كل ما يتعلق بنا من قريب أو من بعيد، لذلك فمضامين الأدب الشعبي عميقة شديدة الأثر في المتلقي.

¹ -محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، 1967، تونس، ص12.

² -نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دت، مصر، ص8.

«يحول الأدب الشعبي الفوضى إلى نظام، وكل نوع من أنواع الإنتاج الأدبي الشعبي من قبل، الحكاية الخرافية والأسطورة الكونية وأساطير الأخيار والأشرار، إلى غير ذلك، إنما يهدف إلى تفسير جانب من جوانب الحياة»¹، الأدب الشعبي من الشعب وإلى الشعب.

2. الفلكلور:

مصطلح أجنبي إنجليزي تحديداً، تعود بداياته أواسط القرن التاسع عشر، حين قدم الباحث الإنجليزي وليم تومز Tomesj.W رسالة إلى مجلة المجمع العلمي إقترح كلمة فولكلور فاعتمدهت جمعية الفولكلور الإنجليزية عام 1877²، وهو اقتراح يدل على دراسته المعتقدات والمأثورات والآثار الشعبية.

يواجه الباحث عدة مصطلحات مرادفة للفولكلور أهمها الفولكسكنية الألماني الذي استخدمه بداية الباحث هرردر في كتابه "الأغاني الشعبية" ومصطلحي روح الشعب، المعتقد الشعبي، التراث الشعبي، المأثور الشعبي، إلا أن أشهرها على الإطلاق الفولكلور الذي تتناسل عنه عدة دلالات:

- بقايا القديم والموروثات القديمة.
- الجانب المأثور من الثقافة الشعبية.
- ما انتقل معظمه مشافهة ومنه الأدب الشعبي.
- الثقافة التي انتقلت مشافهة بشكل عام.

عرف الباحث جون تومز الفولكلور بأنه «العقائد المأثورة وقصص الخوارق، والعادات الجارية بين العامة من الناس، وكذلك ما انحدر عبر العصور من السلوك والعادات

¹-المرجع السابق، ص8.

²-أنظر: عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور "التراث الشعبي" الموضوعات الأساليب المناهج، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2007، الأردن، ص16، ص17.

والتقاليد، والمعتقدات الخرافية والأغاني والأمثال الشعبية وغيرها»¹، أما الباحث أورليوسينوزا «الفولكلور كعلم يدرس نوع من المعرفة الإنسانية، الذي يقوم بجمع المادة الفولكلورية وتصنيفها ودراستها دراسة علمية، كما يمكنه بعد ذلك أن يفسر حياة الناس وثقافتهم عبر الأجيال»².

الفولكلور عند تومز كل ما يشمل المآثورات الشفهية والمعتقدات والعادات المتناقلة والمتداولة بين الناس، التي تكشف عن الذهنية الشعبية، أما عند سبينوزفهو علم المعرفة الإنسانية في شقه الخاص بالمواد التراثية تصنيفا ودراسة علمية، يفضي ذلك إلى التعرف الصحيح على حياة الناس وثقافتهم المتناقلة جيلا بعد جيل.

الجدير بالذكر أن المختصين في البداية قصروا الفولكلور على الجانب الشفوي أما الجانب المادي فقد تم تجاهله والتقليل من أهميته بخاصة ما تعلق بالمعتقدات والطقوس والعادات، كما جعلوه متعلقا بثقافة الطبقة الدنيا من الناس أو الرعاة، لكن مع التطور الحاصل في مجال الفولكلور وتعمق الأبحاث أصبح الفولكلور يشمل الثقافة الشعبية المادية وغير المادية ولا ينحصر في ثقافة مجموعة دون الأخرى.

مصطلح الفولكلور مكون من شقين، الأول Folk الشعب، الثاني Lore حكمة أو المعرفة، بمعنى حكمة الشعب، وقد عدّه بوتر Ch.f.Potter «حفريات حية تأبى أن تموت»³، أي أن الفولكلور بما أن مواده تعود لما تركه الأجداد للأبناء ذي صبغة ماضية، إلا أن الماضي يبقى ما بقي الإنسان، وهذا ما نلمسه في أن كثيرا من عناصر الفولكلور المادية وغير المادية تتخذ صفات وملامح متجددة فكل جيل يضيف لما تركه الجيل السابق.

¹-المرجع السابق، ص32.

²-المرجع نفسه، ص32.

³-حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، 1993، مصر، ص3.

ويرى الباحث ألكسندر هجرتي كراب «الفولكلور علم إعادة بناء التاريخ الروحي للإنسان، كما يتضح في أصوات الشعب غير المصقولة ولأعمال البارزة فالفولكلور علم التاريخ»¹، على إعتبار أن الفولكلور ممتد من التاريخ البشري الأول مع الإنسان البدائي إلى بقية العصور، فيعكس التطور الفكري والحضاري والثقافي والديني، يصور حياتهم في جانبها المادي والروحي.

أما الباحث ادوارد ليتش «الفولكلور إصطلاح نوعي يدل على العادات والطقوس والمعتقدات والممارسات السحرية والدينية، وسائر الممارسات الحركية الأخرى، ويشمل أيضا على فنون القول الحكائية من أساطير وحكايات ومرويات وأمثال وأقوال سائرة»²، حدد ليتش عناصر أو أقسام الفولكلور المتفرعة عن جانبيه المادي وغير المادي الأول؛ الطقوس والعادات والممارسات الحركية والدينية والثاني، فنون القول الشفوية من أساطير وحكايات ومرويات وأمثال وأقوال سائر.

3. الأنثروبولوجيا

مصطلح أجنبي Anthropology مركب من لفظتين أنثروبو بمعنى الإنسان، ولوجيا وهي علم أو المعرفة، لتدل من حيث اللفظ على معنى "علم الإنسان" أي «العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق وأعراف إجتماعية»³.

تتناول الأنثروبولوجيا موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلق بالإنسان في أزمنة وأمكنة متنوعة، وهي علم شامل يقوم بوصف ودراسة الإنسان في أبعاده المختلفة الجيوفيزيائية والإجتماعية والثقافية والنفسية، ومحاولة الكشف عن العلاقة بين تلك المظاهر

¹ -قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، 2008، مصر، ص32.

² -محمد الخطيب، الأنثولوجيا "دراسة في المجتمعات البدائية"، دار علاء، ط2، 2009، دمشق، ص45.

³ -أنظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، إتحاد كتاب العرب، 2004، دمشق، ص9.

المختلفة، وهي باعتبارها علما قديما تم إستخدامه ولكن ليس بالصورة الحديثة فمنذ القدم كانت هناك دراسات وأبحاث حول الإنسان في جميع مناحي حياته ومقارنتها مع الشعوب الأخرى واستخلاص العلاقات والمعطيات وهذا ما وجد عند قدماء الحضارة الفرعونية وصولا إلى الرحلات الإستكشافية، كل ذلك أسهم في إعادة النظر إلى تلك البحوث وفق أسلوب علمي جديد يستند إلى نظريات ومناهج وأدوات بحثية وتجريبية متطورة.

تقول الباحثة الأمريكية مارجريت ميد M. Mead بخصوص عمل الباحث الأنثروبولوجي «نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان، وفي سائر الأماكن وتحلل الصفات البيولوجية والثقافية والمحلية، كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الإجتماعية والتكنولوجية، ونعني أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته لربط وتفسير نتائج دراستنا في إطار نظريات التطور»¹، من خلال القول نستنتج أن الأنثروبولوجي يقوم بوصف الخصائص البشرية من الناحيتين: العضوية والثقافية في الحقب الزمانية والمكانية المختلفة لتحديد الاختلاف والتشابه والبحث في العلاقة بينهما عن طريق مناهج ونظريات تستند إلى العلم وتتخذ من أدواته وسيلة للكشف والبحث قصد التعرف أكثر على الإنسان طبيعيا وثقافيا ونفسيا واجتماعيا.

وبالنسبة لبداية استعمال المصطلح فالباحث جان بواريه J. Poirier يقول «ظهر أولا في كتابات علماء الطبيعة إبان القرن الثامن عشر، لتعني دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان، وكذا الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط الذي أشاع استخدام هذا المصطلح -أنثروبولوجيا- خاصة بعد صدور كتابه الأنثروبولوجيا من منظور علمي»².

¹-حسين فهم، قصة الأنثروبولوجيا "فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، 1986، الكويت، ص 14.

²-المرجع نفسه، ص 15.

وقد عدّ الباحث تنكدي سليم في كتابه قاموس الأنثروبولوجيا «بأن الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وثقافياً حضارية»¹، الأنثروبولوجيا علم واسع المعارف ينقسم إلى أنثروبولوجيا طبيعية، وثقافية واجتماعية ونفسية.

1. الأنثروبولوجيا الطبيعية:

هي شق من علم الأنثروبولوجيا العام، يعود أصلها إلى كتابات تشارلز داروين (C. Darwin)، عن أصل الأنواع البشرية، وكذا بحوث بول بروكا Paul. Broca وفرانس جالتون Francic Callton، واعتمدت أيضاً على علم التشريح، وتعد سنة 1830 بداية تقدم هذا العلم بدراسة الحفريات القديمة لمعرفة عملية التطور وتحليل الجماعات البشرية².

ترى الباحثة الأمريكية مارجريت ميد أن الأنثروبولوجيا الطبيعية تدرس الخصائص والسمات الإنسانية الطبيعية والبيولوجية للجنس البشري، عبر الزمان والمكان وبيان أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها، يعتبر الباحث يوهان بلومينياح المؤسس الأول للأنثروبولوجيا الطبيعية فهو من الرواد في دراسة الجماجم البشرية³.

تهتم الأنثروبولوجيا الطبيعية بدراسة العمليات الفعلية التي تمس التغيرات البيولوجية في الإنسان، خلال التاريخ البشري القديم والحديث وكذا الموقع الجغرافي وتأثيرات كل ذلك على بني البشر.

2. الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تقدم على دراسة السلوك الاجتماعي للإنسان الذي يتخذ في العادة شكل نظم إجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما

¹ -المرجع السابق، ص 19.

² -أنظر: محمد رياض، الإنسان "دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية، 1974، لبنان، ص 12.

³ -أنظر: محمد تباري، الأنثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف، 1973، الإسكندرية، ص 42.

تدرس العلاقة بين هذه النظم إما في المجتمعات القديمة أو المعاصرة، بالنسبة للمجتمعات القديمة تشترط وجود معلومات كافية ومناسبة للقيام بالبحث فيها.¹

تهدف إلى دراسة النظم الإجتماعية وتحديد علاقاتها سواء القديمة أو الحديثة، وقد ظهر المصطلح عام 1908، عندما كرم من جامعة ليفربول البريطانية الباحث: جيمس فريزر ومنحته لقب أستاذ.

3. الأنثربولوجيا الثقافية:

تضطلع بدراسة الإنسان وثقافته «فالإنسان كائن ثقافي حامل للثقافة، يعيش في كنفها تُحافظ عليه ويحافظ عليها، كما أنه ناقل لها عبر الأجيال المختلفة، ونظرا لأن هذا الفرع يهتم بالثقافة وبالسلوك الإنساني فهو يهتم بماضي الإنسان وحاضره»².

تدرس الانثربولوجيا الثقافية أصول المجتمعات البشرية، وتتبع تاريخها ونموها وتطورها، والوظائف الإنسانية في كل زمان ومكان، كما تعنى بالجانب الثقافي في ذاته إن كان ثقافة الإنسان البدائي أو المعاصر، واستنتاج الأشكال الثقافية لكل مجموعة بشرية قصد الكشف عن كيفية تعامل الإنسان مع محيطه ومع بني جلدته، لذلك فإن الأنثربولوجيا الثقافية «علم يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية ويعني بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة عن ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة كما تدرس الشعوب المعاصرة»³.

¹-أنظر: ادوارد برينشارد، الأنثربولوجيا الإجتماعية، تر أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية للكتاب، ط5، 1975، مصر، ص13.

²-أحمد مصطفى فاروق، مقدمة في الأنثربولوجيا ضمن علم الإنسان، دار المعرفة الجامعية، 2006، الإسكندرية، ص28.

³-رالف بيلز، مقدمة في الأنثربولوجيا العامة، تر محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، 1977، مصر، ص24.

فنلمس تداخلا بين علم اجتماع الثقافة الأنثروبولوجيا من خلال تحليل طبيعة العلاقة بين الإنسان وأنماط الإنتاج الفكري وتأثير محيطه عليه ضمن الإطار الإجتماعي المعاش.

يعود الفضل إلى الباحث الإنجليزي إدوارد تايلور في بلورة هذا العالم من خلال كتابه "الثقافة البدائية سنة 1871 ثم تطورت أكثر فأكثر بعد الحرب العالمية الثانية وتوسع البحث فيها ليشمل جميع الثقافات والمجتمعات.

4. الأنثروبولوجيا النفسية:

انطلقت من أهمية الحياة النفسية في تحديد ملامح شخصية الفرد وتأثيراتها على المجتمع فيما بعد، باعتبار أن الإنسان يؤثر ويتأثر، تُعرف على أنها «تنظيم ثابت لدرجة ما، للقوى الداخلية للفرد، وترتبط تلك القوى بكل مركب من الإتجاهات والقيم والنماذج الثابتة بعض الشيء، والخاصة بالإدراك الحسي، والتي تفسر -إلى حد ما- ثبات السلوك الفردي»¹.

فالأنثروبولوجيا النفسية تبحث في العلاقة بين النفسية والمؤثرات الخارجية وكيفية التفاعل فيما بينها، وتأثير السياق التنقيفي في المجتمع على نمو الشخصية الفردية وتطورها.

في ختام هذه المحاضرة نستخلص ما يأتي:

- الأدب الشعبي وإبداع جماعي يعكس الذهنية الشعبية التي صاغته.
- تتنوع موضوعات الأدب الشعبي بين الذاتية والجماعية.
- ينقل الأدب الشعبي السياق الإجتماعي من جوانبه المختلفة.
- الفولكلور علم شامل للثقافة الجماهيرية المادية وغير المادية.
- لا يقتصر الفولكلور على طبقة إجتماعية دون الأخرى.

¹ -سيد محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، 1997، القاهرة، ص 44.

محاضرة الأدب الشعبي والفلكلور والأنثروبولوجيا

- عرّف مفهوم الفولكلور تطورا بارزا بخاصة مع الحركة الرومانسية والنظرة الإنسانية للعلوم والمعارف.
- الأدب الشعبي جزء هام من الفولكلور إذ يمثل الجانب المنطوق منه.
- الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة الإنسان اجتماعيا وثقافيا وطبعيا ونفسيا.
- الأنثروبولوجيا علم شامل يحوي: الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية والاجتماعية والنفسية.
- تتقابل الأنثروبولوجيا مع الفولكلور والأدب الشعبي في الكشف عن صلات المجموعات البشرية ثقافيا واجتماعيا ونفسيا وطبيعيًا، وإذا بيان تأثير السياق الاجتماعي على الإبداع الشعبي.
- الأنثروبولوجيا حقل خصب له أدوات إجرائية خاصة يستطيع من خلالها الباحث في الأدب الشعبي من إغناء بحوثه والإستفادة من الدراسات البيئية.

فيما سبق من محاضرات تعرفنا مفهوم الأدب الشعبي وخصوصية مصطلحه، تم تحديد موضوعاته وكذا بيان حدوده الفاصلة عن الفولكلور والأنثروبولوجيا، وفي الآن ذاته العلاقات المتواشجة بينهم، وفي هذه المحاضرة سنتطرق إلى تصنيفات الأدب الشعبي؟ وفيما تكمن؟.

الأدب الشعبي متنوع الأجناس والموضوعات وشديد الإرتباط بالحياة الفردية والجماعية، والتعبير عن المنحى الديني والإجتماعي والسياسي والإقتصادي والثقافي والتأثر بالمتغيرات الجيوسياسية، ويُصنف الأدب الشعبي على اعتبار الخاصية النثرية والشعرية فيخضع لهذا التقسيم أو التصنيف على النحو الآتي:

القصص الشعبي والأسطورة والحكاية الشعبية والحكاية الخرافية والمثل واللغز والنكتة كلها في التصنيف النثري، أما الأغنية الشعبية والشعر الشعبي، البوقالة فهي في الإطار الشعري.

الأسطورة هي نص سردي يروي مغامرات الآلهة والأقوام السابقة، قولاً وفعلاً، ترصد رؤية الإنسان البدائي للكون والمظاهر غير الطبيعية وكذا مفهومه للعبادة من خلال الممارسة الدينية، ويعرفها فراس السواح بقوله «الأسطورة قد استحدثت من الطقوس، فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين، وفقدان الإتصال مع الأجيال التي أسسته، يبدو الطقس خالياً من المعنى، ومن السبب والغاية، وتخلق الحاجة لإعطاء تفسير له وتبرير»¹.

أما القصص الشعبي فهو متشعب جدا ويحمل إشكالات رئيسية لتحديد التمايز بين الأنواع المندرجة تحته، سنتم معالجتها في محاضرة مستقلة، إلا أنه يمكننا القول بنوع من الإيجاز أن القصص الشعبي يقوم على عنصر الحكيم أو الإخبار في قالب نثري متسلسل الأحداث

¹ -فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، 1980، بيروت، ص 12.

مترايط العقدة، واضح الشخصيات والمضمون، «الإنسان الذي يخترع ذلك القمص الذي يستطيع أن يمه بالتفسيرات المطلوبة»¹.

القصص الشعبي يشمل الأجناس الآتية: الأسطورة، الحكاية الشعبية، الحكاية الخرافية، السير الشعبية، المغازي الشعبية.

تُعرف الحكاية الشعبية في المعاجم الإنجليزية بأنها «حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور وتتداول شفاهاً، وتختص بالحوادث التاريخية الصرفة، أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ»².

الحكاية بهذا قصة مكتملة الطول لها بداية ونهاية، تعرض أحداثاً وأخباراً عن شخصيات متخيلة، تجمع بين البعدين الواقعي والخيالي لتحقيق الأدبية، تتسم شخصياتها بالواقعية فهي من بيئة المبدع الشعبي، نجد فيها مايرغب الفرد بتحقيقه فيسافر معها بأحلامه إلى عالم يجمع بين الكائن والمأصول، تطرح قضايا مختلفة حسب السياق التي ترد فيه، وكذا البرامج السردية المطلوبة من الشخصيات.

وتختلف الحكاية الشعبية عن الحكاية الخرافية في أن هذه الأخيرة تنطلق من الخيال مباشرة، ترتبط بالواقع الإنساني من خلال اللاوعي أي تلك الرغبات والمكبوتات التي تختلج الصدر والعقل، ويأمل الفرد بوجود عالم مثالي وخيالي عجائبي بعيد عن واقعه المعقد وأحياناً الموجود «ولابد للحكاية من شرط جوهري، هو أن تكون متفنة جيدة ممتعة منطقية في بنائها، تحمل إلى الناس غاية أخلاقية»³.

¹ - ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر رشدي صالح، وزارة الثقافة مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي، مصر، ص 114.

² - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دت، مصر، ص 91.

³ - ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، ص 221.

أما الحكاية الخرافية فتعرف على أنها «عبارة عن حكاية الحيوان تستهدف غاية أخلاقية، وهي قصيرة تقوم بأحداثها حيوانات تتحدث وتتصرف كالأناس وتحفظ مع ذلك سماتها الحيوانية، وتقصد إلى المغزى الأخلاقي».¹

ونجدها أيضا في تعبير ألكسندر هجرتي كراب «حكاية الحيوان في أبسط صورها، حكاية شارحة أو مفسرة، من حيث جوهرها، فهي حكاية ترمي إلى شرح علة»²، أي أن الحكاية الشعبية تنطلق من عالم عجائبي بعيد عن الواقع ولكن رغباتنا وميولاتنا النفسية هي ما يحرك ذلك العالم الذي نطمع أن نكون فيه، فعلى الرغم من إغراقها في الخيال إلا أنها تمتلك مضامين أخلاقية لاتقولها بأسلوب مباشر، ولكن يفهم من سياق الأحداث ومغامرات البطل.

ولنا في حكايات عبد الله ابن المقفع أكبر دليل على ذلك فقد وردت إلينا على لسان الحيوانات، فقد جعل بيدبا الفيلسوف «كلامه على ألسن البهائم والسباع والطيور؛ ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام، وباطنه ريرياضة لعقول الخاصة، فصار الحيوان لهوا، وماينطق به حكما وأدبا»³.

بالنسبة لمغزى الحكاية الخرافية ترى الباحثة نبيلة إبراهيم «إن أول شيء يسترعي نظرنا في الحكاية الخرافية، هو اتجاهها الأخلاقي، فهي تكافئ الخير بالخير، والشر بالشر، ثم هي تصور الأمور كما يجب أن تكون عليه حياتنا»⁴.

وهذا من أسباب شغف الناس لتداول الحكايات الخرافية والتفنن في رواياتها والإستمتاع بها.

¹-إبراهيم شعلان، النوادر الشعبية المصرية "دراسة تاريخية إجتماعية أدبية، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013، مصر، ص 38.

²-ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، ص114.

³-إبراهيم شعلان، النوادر الشعبية المصرية دراسة تاريخية إجتماعية، ص 37.

⁴-نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 60.

والحديث في التصنيف السردى نجد أيضا السيرة الشعبية التي يشتهر بها التراث الشعبي العربي، وهي من أبرز الفنون الأدبية الشعبية تحظى بمكانة مرموقة ضمن باقي فنون القول الشعبية «وهي ليست عملا تاريخيا علميا، بل هي تجميع بين التاريخ والإبداع الفني»¹، فأخذ السيرة من حياة الشخصيات الإسلامية أو الشعبية تفاصيلها البسيطة والمعقدة، ثم تقوم بتجميع خيوط الواقع بالخيال، قصد استكمال بنية العمل الفني، فتنوع الأحداث وتتعدد، وتتشابك الأحداث، وتتفرع البرامج السردية، فيتشوق المستمع أو القارئ لمعرفة النهاية السردية، كما أن السيرة الشعبية تعرض حياة شخصية فردية أو قبيلة أو مجتمع ما، شرط ارتباطها بالتاريخ وأهميتها أو دورها البارز في الواقع.

ويشترط في التصنيف النثري أيضا كل من المثل واللغز الشعبيين، فالمثل هو خلاصة تجارب إنسانية، يقال للاستفادة وأخذ العبرة والنصح، يصاغ جملة قصيرة ولكنه بليغ وذو أثر نفسي عميق على المستمع أو المتلقي، «والمثل الشعبي لا يصف التجربة أو يسرد تفاصيلها، ولكنه يحمل رأيا فيها، ومن خلال هذا الرأي يمكن إدراك أبعاد التجربة، وموقف الإنسان منها»².

أما اللغز الشعبي فهو «قول شعبي ماثور موجز اللفظ معمي المعنى، يظهر معنى ويخفي خلفه معنى آخر، ويقوم معناه على أساس المشابهة التي تربط بين هذين المعنيين»³، يذكي اللغز في المتلقي الرغبة الشديدة للمعرفة والتميز، فحل اللغز الشعبي يحتاج إلى فطنة وذكاء وسرعة بديهة، حضور اللغز يعني حضور جو السمر والبهجة والمنافسة، فيشجع نوعا

¹ - فوزية الصقّار الرّاق، مجالية السيرة الشعبية "مقوماتها وخصائصها ودلالاتها، الدار التونسية للكتاب، 2016، تونس، ص 56.

² - حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور والفنون الشعبية فن منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، 1993، مصر، ص 42.

³ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 191.

من الترابط والألفة بين المتسامرين، إضافة إلى أنه يتمحور الحل فيه حول عدة مظاهر حياتية مادية ومعنوية.

والجدير بالذكر أن جو السمر لا يرتبط باللغز الشعبي فقط بل يتعداه إلى النكتة الشعبية التي لا يخلو منها مجتمع ما من المجتمعات السابقة واللاحقة «النكتة خبر قصير في شكل حكاية أو هي عبارة أو لفظة تثير الضحك، كما يمكن القول أن النكتة عبارة عن تلاعب بالألفاظ من شأنه أن يضع معنى مزدوجاً، فهناك المعنى الظاهري الذي لا يثير الضحك إذا استعمل إستعمالاً مألوفاً، والمعنى الخفي الذي لا يثير الضحك إلا لكونه مرتبطاً بالمعنى الأول... وهي تهدف من خلال المعنى المزدوج إلى إدراك العبث أو المحال أو إدراك مناقضات الحياة»¹.

النكتة الشعبية خبر قصير يهدف إلى الإمتاع والتسلية، دون إغفال لدلالات خفية سياسية واجتماعية وثقافية ونفسية ودينية، «تهدف إلى الوصول إلى إدراك مفاجئ لبعض مظاهر الحياة يعيشها الناس ولا يدركونها بوضوح، ويتحقق هذا عن طريق وظيفتين أساسيتين للنكتة هما: المقارنة والمفاجأة، فالمفاجأة هي الخبر الذي يقع بين الذات القادرة على إثارة الضحك وبين الشيء الباحث على الضحك»²، فمن وراء أسلوب النكتة الهزلي هناك معالجة عميقة للواقع الغنساني بالسخرية منه أحياناً، والدفاع عنه أحياناً أخرى في قالب حكاية قصيرة جداً بسيطة التعبير بعيدة المقصد.

الشق الثاني من تصنيف الأدب الشعبي هو الشعري ويتمثل في الشعر الشعبي والأغنية الشعبية والبوقالة، الشعر الشعبي يعبر عن رؤى وأفكار ومشاعر ذاتية وأخرى جماعية «الشعر الشعبي لا يختلف في شيء عن الشعر الفصيح إلا في الإعراب، لأن لغتنا

¹-المرجع السابق، ص166.

²-إبراهيم شعلان، النواذر الشعبية المصرية "دراسة تاريخية اجتماعية، ص36.

الشعبية التي هي لغة هذا الشعر عربية دخل عليها بتناول الأزمان، اللحن ونطقها السنة العامة محرفة، فنظم بها الشعراء شعرهم الشعبي الملحون»¹، ولأن الشاعر الشعبي يرصد قضايا وهموم مجتمعه «بحيث يصبح النص الشعبي وثيقة تدرس لما فيها من أسماء وتواريخ ومشاعر شعبية، وعاطفة كاتبها أو راويها»²، فالشاعر يروي آمال وآلام الفرد والمجتمع، ويتوسل باللغة البسيطة والفنيات الجمالية التعبير والتصوير.

الشكل الثاني هو الأغنية الشعبية التي تعرف على أنها «قصيدة شعرية ملحنة مجهولة المؤلف، كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية، وما تزال حية في الإستعمال»³.

وتؤدي الأغنية الشعبية في سياقات اجتماعية محددة كالأعراس حفلات الختان، المناسبات الدينية، الفلاحية، وهي تتداول على نطاق واسع ومازالت متوارثة من جيل إلى جيل، تحمل ملامح المجموعة الشعبية وتعبّر عنها.

النوع الآخر الشعبي هو البوقالة «مقطوعة شعرية شفوية قصيرة تتراوح بين البيت الواحد والأربعة أبيات»⁴، وهي مشهورة جدا في دول المغرب العربي، مرتبطة بسهرات الشهر الفضيل وبعض الطقوس والعرافة، تمارس من طرف النسوة لها أبعاد اجتماعية ونفسية وثقافية، تشترط في متلقيها النية "عقد النية"، حتى يتحقق ما في قلبه.

في ختام هذه المحاضرة نخلص إلى ما يأتي:

- الأدب الشعبي نتاج وليد المخيلة الشعبية والسياقات الإنسانية.
- يصنف الأدب الشعبي إلى نثري وشعري.

¹ -محمد المرزوقي، الشعر الشعبي والإنتفاضات التحررية، الدار التونسية للنشر، 1971، تونس، ص5.

² - أحمد زغب، الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة، الرابطة الولائية للفكر والإبداع، 2009، الجزائر، ص5.

³ - ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر أحمد رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب، 1967، مصر، ص53.

⁴ - فطيمة ديلمى، لعبة البوقالة"الطقص والشعر والمرأة"، وزارة الثقافة، 2009، الجزائر، ص50.

محاضرة تصنيفات الأدب الشعبي

- الصنف النثري يحتوي على الأشكال الآتية: الأسطورة القصص الشعبي، الحكاية، الخرافة، السيرة والمغازي الشعبية، المثل، اللغز، النكتة، مسرح الفرجة.
- الشق الشعري يشمل الشعر الشعبي، الأغنية الشعبية، البوقالة.

يُغطي الأدب الشعبي المغربي الإمتداد الجغرافي للدول المغاربية من ليبيا إلى المغرب الأقصى، وعلى اتساع المساحة الجغرافية نلمس تنوعا في أجناس التعبير الشعبية شكلا ومضمونا، كذلك عملية البحث فيها تكتسب نوعا من الخصوصية لتداخل الحضارات القديمة الوجود روابط مشتركة تجمع دول المغرب العربي فيما بينها أهمها؛ الدين والمصير المشترك والعادات والتقاليد التي غير ذلك من روابط الوحدة المغاربية وفي هذه المحاضرة سنطوف ببعض أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي.

1. الأسطورة:

لن نتعرض للأسطورة بكثير من التحليل والنقد لأننا سنتوسع في كل ما يخصها ضمن محاضرة الأسطورة والخرافة، وسنكتفي بالإشارة بشيء من الإختصار إلى أن الأسطورة تعني كل ما يتصل بالأقوام السابقة من أخبار وأحداث لعهود ماضية، وكل ممارسة ترتبط بمعتقدات دينية تقوم بها المجموعة الإنسانية، وكل ما يعرفه الباحث فرانس السواح بأنها «حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يكشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان»¹، فتتخذ الأسطورة صفة القدسية كونها تروي مغامرات الآلهة من أقوال وأفعال، و تنتقل لنا المعتقد الديني والتصورات البشرية لعلاقة الإنسان بالآلهة وكذا باقي الموجودات، لتعد بذلك تعبير عن مضمون عميق.

وترى أيضا الباحثة نبيلة إبراهيم «يُمكننا أن نقول بإيجاز أن الأسطورة محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له، إنها نتاج وليد الخيال ولكنها لاتخلو من منطق معين، ومن فلسفة أولية تطور عنها العلم والفكر والفلسفة فيما بعد»²، صاغ الإنسان البدائي نص الأسطورة رغبة منه في وضع تفسيرات وتحليلات وتصورات حول الكون بظواهره

¹ -فرانس السواح، الأسطورة والمعنى (دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية)، دار علاء الدين للنشر، 1997، سوريا، ص 14.

² -نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دت، مصر، ص 17.

المتعددة انطلاقاً من فهمه الخاص، الذي يشكل الخيال بنسبة كبيرة في صياغة ذلك الفهم الأسطوري ذي البعد الفلسفي.

من الأساطير التي تحتفظ بها الذاكرة الشعبية نجد أسطورة أنزار وهي أسطورة أمازيغية نسبة لملك المطر تروي الأسطورة أنه في أيام الجفاف إنعدام الأمطار يقوم أهل القرية يقومون بتقديم فتاة جميلة لإله المطر تكون عارية، مزينة بأحسن المجوهرات تتولى مهمة تزينها عجوز شريفة ومحترمة من طرف أهل القرية، وعلى الفتاة أن ترحب بالأمر ولا تتزعج أو تبكي خوفاً من إعتقاد الإله أنها مجبرة على ذلك فيحرمهم من المطر، تمسك العجوز ملعقة كبيرة وتحملها على ظهرها في الوقت الذي تردد فيه: يا أنزار، الملعقة جافة

كل إخضرار ضائع

الشيخ المقوس من السنين

تتاديه المقبرة

ولا يعرف النسل

خطيبتك ترجوك

آه يا أنزار لأنها ترغبك¹

وكلما مر الموكب على قرية من القرى، إلا وانظن له مجموعات من أهلها مرددين الأغنية:

أنزار، أنزار

أيها السلطان أوقف الجفاف

¹ -أنظر، يدك شالجة، نماذج من الثقافة الفولكلورية للمجتمع الأمازيغي، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2012، الجزائر، ص 58 ص 59.

وينضج القمح على الجبال

وعلى الهضاب أيضا

وكل منزل أو عائلة تعطي للجوانب بعضا من المأكولات المختلفة فرحا منهم بهذا الحدث، وترمي بعض العائلات الأخرى المياه على رأس الخطيبة، ليصل الموكب أخيرا إلى أحد المعابد المقدسة، تقوم النسوة بطبخ ما تم جمعه من المواد الغذائية ويقدمونه للناس، وتغسل الأواني ويرمي الماء في جدول، تنزع بعد ذلك العجوز عن الفتاة ماترتديه وتتركها عارية، حتى تغطي هذه الأخيرة نفسها بشبكة من العلف، إحياء بأن لا يوجد في هذه الأرض بلا العلف بشدة الجفاف، تقوم بعدها الفتاة (الخطيبة) في الطواف سبعة مرّات حول المعبد ماسكة الملعقة في يدها، بحيث يكون رأس الملعقة نحو الأمام كأنها تطلب الماء في ذلك الطواف مرّدة:

أنتم يا أسياد المياه

أعطونا مياهها

أعطونا مياهها

أعطي حياتي لمن يريد أن يأخذها

إلى آخر الأغنية، بعدها تتجمع المراهقات حول الخطيبة العارية وتلعب بالكرة الصغيرة، قرب المعبد وكل واحدة منهن تمسك عصا وتتشاجر على الكرة حتى تسقط في حفرة مهياة لها وتردد الخطيبة

الأرض وأنا عروستان

تزوجنا برجل دون أن نراه

لسنا مريضتان ولا عقيمتان¹

ولكن المفتاح بقي في القفل

تذيينا لا يعطيان الحليب

كيف يستطيعان ذلك؟

وعندما تدخل الكرة في الحفرة تقول أيضا الفتاة:

أبسط يدي أمامي

لا أجد إلا الفراغ

ولا تجد غيري

لا شيء يشدني غيري

يا أنزار أيها الطيب

حياتي غالية ولكن إذا كان يريدنا فليأخذها

لتجيب الفتاة بـ

حققنا هدفنا

الكرة في مكانها

السلطان نزل على الأرض

الخطيبة أطاعتها وقبلتها

¹ -أنظر، المرجع السابق، ص 59 ص 60 ص 62.

يأبها السلطان أعطنا المطر

إنك ترى أن أرضنا عطشانة

وستعطينا إنتاجا طيبا

مثلك الذي أعطى النسل

وبدفن الكرة في الحفرة، تعود النسوة إلى القرية قبل غروب الشمس، وعلى سكان القرية القيام بهذا الطقس قبل بدء المطر في السقوط¹، وفي بعض المناطق متواصلة هذا الطقس مع تغيير الفتاة واستبدالها بملعقة مزينة.

ومن هذه الأساطير المتداولة أيضا نجد في الشرق الجزائري أسطورة حمام المسخوطين، وتروي الأسطورة أنه في الزمن القديم قامت عائلة بتزويج إبنها من بعضها البعض فغضبت الآلهة وقامت بمسخ العروسين والمدعويين في شكل مجسمات، مازالت الشواهد الأثرية تستدل بها الجماعة الشعبية على أن زواج المحارم كان محرما منذ القدم عهد الآلهة.

من الأشكال الأدبية الشعبية المغربية نلفي الحكايات والخرافات الشعبية بكثرة، فالحكي وسيلة الإنسان للتعبير عن مشاعره السلبية أو الإيجابية وفي كل الدول المغربية نجد نصوصا حكاية مختلفة وأحيانا أخرى ذاتها ولكن طبعا أحدثت عليها تعديلات وإضافات بسبب اللهجة والسياق العام.

كثيرة هي الحكايات والخرافات التي تتداول في المنطقة المغربية والتي تحمل خصوصيات الجماعة الشعبية التي تتوارثها وتحفظها جيلا بعد جيل نحو: حكاية أم السيسى والذيب، لونجة، بقرة اليتامى، الغولة... وغيرها من النصوص الشعبية التي أفردت لها أقلام الباحثين المغاربة دراسات مختلفة منها؛ الحكاية الشعبية المغربية لمحمد فخر الدين وله أيضا المتخيل

¹ -أنظر، يدك شالجة، نماذج من الثقافة الفولكلورية للمجتمع الأمازيغي، ص 62 ص 63.

في الحكاية الشعبية وسلسلة حكايات من التراث الشعبي، وعبد الحميد بورايو في كتبه "القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، كذلك الحكايات الخرافية للمغرب العربي دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات"، والبطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري "دراسات حول خطابات المرويّات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة" محمد مجاهد الحكاية الشعبية واقع وخيال"، الجيلالي الكدية "أنطولوجيا الحكاية الشعبية المغربية".

محمد مجاهد له أيضا "الحكاية الشعبية" الماهية، الرمزية الوظيفة، المأثورات"، والعمل الذي قام به الباحث التونسي عبد العزيز العروي بجمع مجموعة هامة من الحكايات الشعبية التونسية في كتابين عنوانهما "حكايات عبد العزيز العروي" يقع في جزأين، أيضا محمد المرزوقي المعروف بإسهاماته الهامة في الأدب الشعبي بصفة عامة والتونسي بصفة خاصة في جانب السرد له؛ الجازية الهلالية وله أيضا على هامش السيرة الهلالية "دراسة ونماذج" وكتاب بحافي ليبيا دراسة في الأدب الشعبي لعلي مصطفى المصراطي إلى غيرها من بقية الدراسات المغاربية في مجال القصص الشعبي.

لدينا أيضا العديد من الأبحاث والدراسات في مجال الشعر الشعبي لمختلف الأقطار المغاربية إما جمعا أو تصنيفا أو دراسة كما هو الحال بالنسبة للمؤلف محي الدين خريف "الشعر الشعبي التونسي، أوزانه وأنواعه"، الشعر الشعبي الجزائري "منطقة بوسعادة لعلي بنوار، صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري لأحمد الأمين الشعر الملحون الديني الجزائري "قضايا الموضوعية وظواهره الفنية لعبد القادر فيطس، كذلك معلمة الملحون يقع في إثنا عشر جزءا لمحمد الفاسي و"دراسات في فن الملحون" لعبد الوهاب فيلاي، الشعر الشعبي الليبي "لمحمد برهانه، وكتاب "الشعر الوطني في الأدب الشعبي المغربي الملحون "الحفريات" "أنموذجا" لعبد الرحمان الملحوفي.

ينتشر شكل آخر من أجناس الأدب الشعبي المغربي وهو البوقالة والتي هي «نص شعري شفوي يروي أو مرتجل تنشده النسوة يتنوع حجمها بين البيتين إلى المايزيد عن الأربعة أبيات»¹، أحيانا ترافق البوقالة الموسيقى وأحيانا أخرى لا، لجميع أشعار البوقالة طقوس ومناسبات تؤدي خلالها، إلا أن بعضها يرتبط بطقوس العرافة وتشتهر بها السهرات الرمضانية ومن أمثلة ذلك:

خُرِجْتُ فإِلَيْهِ
نُطِلِبُ الله

وَالنَّبِيَّ سَيِّدِي
رَسُؤْلُ الله

مِيَاهُ نَجْمَةٌ نُقُولُ
لَا إِلَهَ إِلاَّ الله

حِذِّ مَا يَأْخُذُ
غَيْرُ مَا أَعْطَاهُ الله

وإذا انتقلنا إلى السير والمغازي الشعبية، فلا يمكن أن نمر دون ذكر سيرة بني هلال التي تؤرخ لفترة ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية لدول المغرب العربي، بخاصة أن الإتصال الهلالي البربري سجل ملحمة أدبية رائعة تلتقتها الأجيال جيلا عن جيل، حفظتها روايات شفوية انتشرت على امتداد البلاد العربية، ولذلك حظيت بعناية الدارسين وتأتي هذه العناية مزدوجة، عناية بالنص، وعناية مرددي النص، فالذاكرة الجماعية احتفظت واحتقلت بها².

شملت السيرة الهلالية على أحداث وأخبار الهلاليين وعلاقاتهم مع القبائل المغاربية في حلهم وترحالهم، وتعد شخصياتها من أبو زيد، والجازية ذياب، الزناتي خليفة، سعدى، رزق، خضراء، غانم، الهلالي حسن ابن سرحان إلى غيرها من الشخصيات.

¹- فطيمة ديلمي، لعبة البوقالة "الطقس والشعر والمرأة"، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2009، الجزائر، ص 73.

²- أنظر، عذي بوخالفة، الحياة البدوية في الروايات الشفاهية الهلالية الجزائرية، ج1، منشورات الرياحين، دط، دت، الجزائر، ص 53.

وحضيت السيرة الهلالية بعدة دراسات إما جمع المرويات الشفوية حولها أو مقاربتها وفق آليات إجرائية منهجية مختلف نحو: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي **لعبد الحميد يونس** وسميائية الشخصية في تغريبة بني هلال **لأمينة فزاري**، والحياة البدوية في الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية **لعزي بوخالفة** يقع في جزأين، وكتاب رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية يقع في جزأين **لعبد الحميد بوسماحة**.

من جهة أخرى يجد الأدب الشعبي المغربي يزخر بنتاج ضخم من الأغاني الشعبية والأمثال الشعبية والنكت والتي تستحق بذل الجهد لجمعها ودراستها لبيان خصوصية الذهنية الشعبية المغربية والمضامين والفنيات التي تنفرد بها.

في ختام هذه المحاضرة التي أردنا من خلالها الإحاطة بنوع من الإيجاز على أشكال التعبير الأدبية المغربية قصد التعرف عليها رغم أن المقام لايسعنا لذكرها كلها وبيان مفهومها وخصائصها وموضوعاتها، إلى أننا قدمنا إشارات يستطيع من خلالها الطالب تلمس جوانب الأدب الشعبي المغربي وتشجيعه على البحث فيه واختيار جزئية تكون مدار دراسته في مذكرات التخرج الليسانس أو الماستر أو الدكتوراه.

عُدَّ الشعر العربي الفصيح ديوان العرب ومرآة حياتهم، يخترن أفراحهم وأتراحهم حلهم وترحالهم سلمهم وحرهم، كل ما يمثل حياة الفرد العربي آنذاك، سجَّل بطولاتهم وانتصاراتهم على الأعداء وافتخارهم بمناقبهم ومآثرهم وأنساهم إذ « كانت القبائل من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأظعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس ويتبارز الولدان »¹، لذلك رأى العرب أن الشعر فيه « حماية لأغراضهم وذود عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يُهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج»².

وهذه الأهمية اكسبت الشعر العربي سلطة معنوية في نفوس متذوقيه، كانت ولا زالت ليومنا هذا، وفي الجهة الأخرى نجد الشعر الشعبي هو الآخر يحظى بمكانة وأهمية خاصة، في الأوساط العامة والخاصة من المشرق إلى المغرب، فبرزت أسماء لامعة في سماء الشعر الشعبي قديما وحديثا أثرت الساحة الأدبية الشعبية بعدد المدونات الشعرية.

وفي هذه المحاضرة سنتعرف على موضوع الشعر الشعبي وخصائصه ومواضيعه وأبرز القضايا التي تتعلق به .

1- مفهوم الشعر الشعبي:

كثيرة هي الأبحاث المتناولة لمفهوم الشعر الشعبي قديماً وحديثاً، وتتنوع نتائجها إلا أنها تقر بصعوبة تحديد مفهوم واضح للشعر الشعبي يكون لصيقاً به، مع ذلك كل باحث حاول إعطاء تصور خاص له لشعر الشعبي انطلاقاً من النص نفسه ومن توجهاته الفكرية، يرى الباحث مصطفى حركات أن الشعر الشعبي « هو كل ما خالفت لغته الفصحى في الإعراب أو الصرف أو المعجم »³، إذ أن كل قول منظوم بلغة غير اللغة الفصحى ولا يحتكم إلى قواعد الإعراب أو مقاييس الصرف أو عناصر المعجم، يدخل في إطار الشعر الشعبي، فاللغة التي يُنظم بها الشعر الشعبي ليست اللغة العربية الفصحى، وهذا أمر يُعد عنصراً أساساً في صياغة القول الشعري. فكما يقول الباحث العربي دحو «الحقيقة في هذا النوع من الشعر لا تتصل بالقواعد النحوية والصرفية فحسب، ولكنها تمس اللغة بشكل عام»⁴

¹ - ابن رشيق القيرواني، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، تح عفيف نايف حطوم، دار صادر، ط2، 2006، بيروت، ص65.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - مصطفى حركات، الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي، دار الأفاق، 1996، الجزائر، ص 52.

⁴ - العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس من 1954 إلى 1962، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، الجزائر، ص 26.

بمعنى أن اللغة خاصة أساسية في هذا النوع من الأدب الشعبي، وهذا ما يؤكد أيضاً الباحث محمد المرزوقي في معرض حديثه عن الشعر الشعبي قائلاً « الشعر الشعبي لا يختلف في شيء عن الشعر الفصيح إلا في الإعراب، لأن لغتنا الشعبية التي هي لغة هذا الشعر، عربية دخل عليها - بتطاول الأزمان - اللحن ونطقها أسنة العامة مُحرفة، فنظم بها الشعراء شعرهم الشعبي أو الملحون»¹.

وعلى الرغم من أن هذا الشعر يكتب بلغة مخالفة للغة الفصحى وكافة قواعدها، 'لا أنه ليس من السهل بمكان أن يقوم أي شخص وأن يدعي بأنه يقول شعراً شعبياً، فاللهجة الشعبية لا تتفي فنية هذا الشعر بل تميزه كونه يمزج بين بساطة اللغة المعبرة عنها من أديم الأرض، وبين عمق المضامين التي ينقلها للسامع، وهنا لا يفوتنا أن نورد ما أقره العلامة ابن خلدون بحديثه عن الشعر الشعبي وفنائه « ولهؤلاء الأعراب في هذا الشعر بلاغة فائقة، وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد، وخصوصاً علم اللسان، يستنكر صاحبها هذه الفنون التي لهم إذا سمعها ويمج نظمها إذا أنشد، ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها، وهذا إنما أثر من فقدان الملكة في لغتهم، فلو حصلت له ملكاتهم شهد له طبعه وذوقه ببلاغتها، إن كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره، والإعراب لا مدخل له في البلاغة إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه »².

الشعراء الشعبيين على بساطة لغتهم إلا أنهم يمتازون ببلاغة فائقة، تُعنى بمراعاة مقتضى الحال والتعبير عن الغرض المقصود بأبلغ الصور دون تكلف أو إخلال، فاللهجة الشعبية هنا ميزة وليست نقيصة كما يعتبرها البعض، وقد ميز عبد الله ركيبي بين ثلاثة أنواع لغوية في القصيدة الشعبية وهي:

أ- اللغة المتفصحة التي تقترب من الفصحى.

ب- العامي الخالص، والمتداولة في الحديث العادي بين أفراد المنطقة.

ت- اللهجة البدوية والمعروفة عند الشعراء البدو؛ وهي مزيج بين المتفصحة والعامية³.

¹ - محمد المرزوقي، الشعر الشعبي والانتقاضات التحريرية، الدار التونسية للنشر، 1971، تونس، ص5.

² - ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر العربي، 2004، بيروت، ص 662 ص 663.

³ - أنظر: عبدالله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث " الشعر الديني الصوفي"، ج1، دار الكتاب العربي، دط، 2009، الجزائر، ص 361.

2- إشكالية التسمية:

سنشير في هذا العنصر إلى وجود عدة تسميات تسم هذا النوع من الأدب الشعبي نحو: الملحون، الطبيعي، العامي، وغيرها من التسميات المنتشرة في الأقطار العربية -المشرقية والمغربية- تعتبر تسمية الشعبي والملحون أكثر تداولاً في دول المغرب العربي لعدة أسباب، فالتسمية الأولى الشعبي أساسها أن هذا الشعر جزء من كل وهو الأدب الشعبي، بالتالي الأجدر أن يلتصق بالشعبي منه من الملحون، فالباحث العربي دحو في كتابه الشعر الشعبي الجزائري ودوره في الثورة التحريرية (يقع في جزأين) يفضل مصطلح الشعبي كونه اسماً شاملاً لنص الشعري غير الأكاديمي، كما أن الشعبي مناسب للبيئة العربية، مع اعترافه شهرة المصطلح الثاني الملحون، لاسيما في البيئة الصحراوية.

كما نجد أيضاً الباحث التلي بن الشيخ يفضل تسمية الشعبي من خلال ما تضمنه كتبه، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري الذي خصص فيه مجموعة كبيرة من الصفحات حول الشعر الشعبي، وكذا كتابه الآخر: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة التحريرية الكبرى، وكثيرون من ينطلقون في تسمية الشعر الشعبي على أساس صفة الشعبية فهو تعبير فردي عن ضمير جمعي تتناقله الجماعة الشعبية وتحرص على حفظه وتداوله على نطاق واسع.

أما من يفضلون مصطلح الملحون فمنهم محمد المرزوقي إذ يرى « أما الشعر الملحون الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم فهو أعم من الشعر الشعبي، إذ يشمل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهول، وسواء دخل حياة الشعب فأصبح ملكاً للشعب، أو كان من شعر الخواص »¹.

يعتبر الشعر الملحون هو الأنسب والأصح تسمية إذ يشمل المؤلف معروفاً كان أو مجهولاً، وأن يتقاطع مع كافة طبقات المجتمع الخاصة والعامية وأن يكتب بلهجة عامية، ويقول أيضاً « وعليه فوصف الشعر الملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن يلحن في كلامه، أي نطق بلغة عامية غير معربة، أما وصفه بالعامي فقد ينصرف إلى نسبه للعامية فكان وصفه بالملحون مبعداً له من هذه الاحتمالات »².

¹ - محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية، 1967، تونس، ص 51.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هنا ينبغي أن ينسب هذا اللون من الأدب الشعبي الى العامي لأن ذلك يقصره على العامة فقط، على العكس من أنه يتداول من جميع الفئات المجتمعية المثقفة الأمية، لذا يرى أن الملحون أنسب لكون اللحن دخل على اللغة ، فأصبح يستعمل لغة ملحونة.

وفي هذا يقول أيضا عبد الله ركيبي « فإن تسمية هذا الشعر بالعامي، توحى بأن قائله " أمي" لا معرفة له باللغة قراءة وكتابة، وقد توحى أيضا بأن المتلقي له من الأميين وبأن هذا الشعر لا صلة له بالفصحى من قريب أو بعيد والواقع أن الحال مختلف، فالقائل قد يكون أميا وقد يكون مثقفا بصورة أو أخرى مثل المتلقي أيضا، ذلك أن بعض القوائد بالرغم من أنها لا تراعي القواعد اللغوية، فهي في روحها فصيحة لأن ألفاظها وعباراتها مما يدخل في تركيب الفصحى أو ينسجها وإن كان بعضها لا يراعي البحور والأوزان المعروفة¹ .

يرى أن تسمية الشعر بالعامي تجعل متلقيه ومرسله أميا وتقصره على كليهما دون البقية، وأن هذا الشعر مخالف للغة الفصحى إعراباً و صرفاً ومعجماً، ونلغي عنه أن يتذوق هذا اللون الشعري المثقف أو أن ينظم قوائد خاصة، والواقع نجد شعراء شعبيين متحصلين على مستوى علمي عال وثقافة واسعة وكذلك الفئة المستمعة له فهي ممكن أن تجمع بين العامية والمتخصصة، وبالتالي وسمه بالعامي إنقاص لفنياته بخاصة أنه يراعي الضوابط البلاغية.

ويقر تسمية الملحون لأنه « لما كان الشعر الملحون في معظمه تقليد للقصيدة المعربة، فإن الفرق بينه وبينها هو في الإعراب، فهو إذن من "لحن" في الكلام، إذ لم يراع الأعراب والقواعد اللغوية المعروفة²»، وجاء في لسان العرب لابن منظور أن اللحن « لَحَنَ، اللحن بفتح الحاء، وجمعه ألحان ولحون... اللحن بتسكين الحاء واللحن بفتح الحاء واللحانة؛ ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك: لَحَنَ يَلْحَنُ، لَحْنًا وَلُحُونًا³»، ويقول أيضا الزمخشري « لَحَنَ في كلامه إذا مال من الإعراب إلى الخطأ، أو صرفه عن موضعه إلى الإلغاز وقلت لَحَنْتَ، وَلَحَنْتَ له لَحْنًا، قلت

¹ - عبدالله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث" الشعر الديني الصوفي"، ج1، ص 361.

² - المرجع نفسه، ص 364.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج5، دار صادر، دط، بيروت، مادة (ل.ح.ن)، ص 352 ص353.

له يفهمه عني ويخفي على غيره، وعرفت ذلك في لحن كلامه: في فحواه وفي ما صرفه إليه من غير إفصاح به»¹.

فألحن الابتعاد عن الضوابط اللغوية المعروفة، تركيباً وصرفاً ومعجماً واستخدام الدارج من الكلام اليومي، وهو ما يظهر جلياً في القصيدة .

3- خصائص الشعر الشعبي

- حسن التصوير .
- المزج بين اللهجة العامية والفصيحة في أحيان كثيرة.
- التعبير عن القضايا والمواقف الإنسانية الخاصة والعامية .
- الألفاظ البسيطة.
- قوة المضمون العاطفي.
- ابداع فردي عن ضمير جمعي.

4-مجالات الشعر الشعبي:

للشعر الشعبي مجالات مختلفة تتوزع على أهم القضايا والمواضيع التي تهم الفرد والمجتمع، فهو « ذاكرة الشعب التي تختزن همومه وأشواقه، وهو الصورة الحقيقية لواقعة المعيش يصاحبه في أفراحه، فيعبر عن النشوة العارمة التي تهزه، وهو يأخذ من حياته نصيباً من البهجة ويواكبه في صراعاته اليومية، وهو يبذر ويحصد، ويصارع الصخر في الجبال والعواصف والبحار»²، فالشاعر الشعبي خاض في جميع مناحي الحياة وقدم رؤاه وتصويراته حولها، إذ يمكن أن نجد الشعر الشعبي تعبير فردي عن ضمير جمعي، تتناول الغزل والهجاء والعتاب والفخر ومختلف المجالات التي تهم الفرد والمجتمع فعرض تصوره حول مختلف القضايا، ودافع بشعره عن وطنه وشحذ الهمم للذود عنه، لم يتخلف يوماً عن طرح قضايا أمته، فهو لا يمكنه الانفصال عنهم، يُعبر عنهم وينقل همومهم وأحلامهم، لذا لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن الشعر الشعبي تتناول مجالاً دون الآخر، بل على العكس من ذلك الشعر الشعبي شديد القرب من كافة طبقات المجتمع، مُشارك في قضايا مجتمعه.

¹ - الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر للطباعة والنشر، 1996، بيروت، (ل.ح.ن)، ص 561ص562.

² - محمود ذهني، الأدب الشعبي مفهومه مضمونه، دار الأدب العربي للطباعة، 1972، مصر، ص 47.

في ختام هذه المحاضرة نستنتج أن :

- الشعر الشعبي صوت الفرد والمجتمع.
- الشعر الشعبي رصد لقضايا المجتمع وتعبير عن وجدان الفرد والمجتمع.
- يتمتع الشعر الشعبي بقدر كبير من الفنيات الشكلية أو اللغوية.
- يمزج الشاعر في قصائده بين المادي والمعنوي.
- حسن التصوير وإجادة المعنى.

في هذه المحاضرة سنتعرف على أحد أهم الفنون الشعبية النثرية، وهو القصة الذي أخذ حيزا بارزا في الدراسات الشعبية النظرية والتطبيقية على السواء، لأن باقي الألوان السردية الشعبية الأخرى من أسطورة وخرافة وحكاية وسيرة تقدم على عنصر القصة مع اختلافات في الأنماط القصصية للفنون سابقة الذكر، فما المقصود بالقصة الشعبي، وفيما تتمثل أنواعه، وتحديد لإشكالية التصنيف فيه؟

1- القصة الشعبي لغة واصطلاحا:

أ/ - لغة: القصة من الفنون النثرية القديمة عرفها العرب منذ الجاهلية إلى عصرنا هذا مع تطورات مختلفة مست هذا الفن إلا أنها تفر بتجزؤها في المجتمعات العربية وتعلقهم بها أيما تعلق، وقد وردت القصة في القرآن الكريم في إنزال العزيز الحكيم سورة إسمها القصة رقمها 28 من مجموع الكتاب الكريم، وكثيرة هي السور التي اشتملت على الألفاظ المشتقة من القصة نحو:

قص: سورة القصص، الآية [25].

قصصنا: سورة النحل، الآية [118].

نقصص: سورة يوسف، الآية [5].

نقصص: سورة الأعراف، الآية [101].

نقصه: سورة هود، الآية [100].

يقص: سورة النمل، الآية [76].

يقصون: سورة الأنعام، الآية [130].

أقصص: سورة الأعراف، الآية [176].

وفي هذا تدليل على وجود فن القصة في التراث العربي القديم، والتي تعني الأخبار والحوادث «نحن نقص عليك أحسن القصص»¹.

يعرف ابن منظور القصة بقوله هي «الخبر والأمر والحديث والقصة اتباع الأثر، ويقال خرج فلان قصصا في أثر فلانا وقصا، وذلك إذا اقتص أثره، وقبل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا وسوقه الكلام سوقا، ويقال تتقصصت الكلام إذا حفظته، وقص على خبره، أو رده، والقصص الخبر المقصوص»².

ب/- إصطلاحا: يمتد الفن القصصي إلى أزمان بعيدة ضاربة منذ القدم، قدم الإنسان الأول الذي استخدمه للتعبير عن خواجه النفسية وهواجسه من الظواهر الغريبة والمستقبل البعيد الذي يترقبه في خوف وأمل، ولا يمكننا معرفة بداية ظهور هذا الفن لإنعدام التدوين في الزمن الأول. إلا أن البحث في النفس البشرية يرى أن الإنسان منذ كان وهو يستعمل الخبر والقصص لتنفييس عن مكنوناته واضطرابه أمام محترك الحياة.

عرف القصة تعريفات عدة نحو «الإخبار بمحادثة تقع بين أشخاص في مكان وزمان معينين، وهي ذات مغزى أي ذات بعد فكري يجسد في النهاية خلاصة ما ترمز إليه الأحداث القصصية وخلاصة موقف القصاص من حركة الحياة التي أحيها أشخاصا وأحداثا ومن صراعها وتناقضاتها»³.

أي أن القصة تسرد لنا خبرا عن شخصيات واقعية تعود لمكان أو زمان معينين. ترتبط بمضمون عميق يستنتج المتلقي من حوادث الشخصيات المقصوص عنها، قصد الإستفادة أو غيرها قصد الإستفادة أو غيرها من الأفكار التي ترمز إليها القصة.

¹- سورة يوسف، الآية [3].

²- ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار صادر، بيروت، مادة(ق.ص)، ص74، ص75.

³- ميشال عاصي، الفن والأدب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، ط2، 1970، بيروت، ص 151.

وهناك من اعتبرها «حوادث يخرعها الخيال ... وتنحصر مهمة القاص في نقل القارئ إلى حياة القصة، بحيث يتيح له الإندماج التام في حوادثها، ويحمله على الإعتراف بصدق التفاعل الذي يحدث بين الشخصيات والحوادث، وهذا أمر يشير له إذا استطاع. أن يصدر الشخصيات في حياتها الطبيعية الخالصة»¹.

وهذا الأمر ينطبق على فن القص الفصيح أو الشعبي على السواء على اعتبار سوء الأحداث وأخبار شخصيات تاريخية أو دينية وحوادث ماضية، يتفنن القاص في قصها بأسلوب يمزج فيه بين الحادثة التاريخية والخيال دون إخلال فيحدث التفاعل بينه وبين المستمع الذي يشد وثاقه بخيط خفي لمعرفة النهاية واستخلاص العبر والأحكام والقيم.

والقصة الشعبية شكل أدبي شعبي خالص يقوم بسرد وقائع وأحداث وأخبار ماضية في ترابط متسلسل وبأسلوب بسيط لا تعقيد فيه، وتجنح للخيال كبقية الأجناس الأدبية وتختلف باختلاف مضمونها وشخصياتها ومناسبات القص وتحدث في نفس المستمع المتعة والتسليّة والراحة وقد شغف بها الكبار والصغار والرجال والنساء والمتقف والأمي لأنها تمس وجدان الجميع لإرتباطها بالحياة الإنسانية في كافة صورها وأحيانا يتمثل المتلق نفسه ذلك البطل المغوار الذي لا يشق له غبار. وله قدرة على مواجهة المشاكل والصّعاب والإنصار في الأخير على كل المعوقات وهذا طبيعي في النفس البشرية التي تطمع للراحة وتتشد السعادة في أسمى معانيها وبمختلف أشكالها ودرجاتها.

ويشتمل القصص الشعبي على عدة أنواع هي الأسطورة الخرافة الحكاية الشعبية، والسير الشعبية والمغازي، وفي هذه المحاضرة سنتعرض للحكاية الشعبية وللمغازي على اعتبارها أن الأنواع السابقة أفردت لها محاضرات مستقلة، فما هي الحكاية الشعبية وما الخصائص التي تتميز بها وماهي المضامين التي تركز عليها.

¹ - محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت، 1955، بيروت، ص 7، ص 8.

أ- الحكاية لغة:

حكاية: (إسم)، الحكاية: ما يُحكى ويُقصُّ ، وَقَعَّ أو تُحَيَّلَ، بمعنى إخبار بحوادث واختراع قصص متخيلة يقوم بسردها شخص متمكن بهذا الأمر، يستميل المستمع إلى بقية حوادث وشخصيات القصة أو الحكاية.

ب- الحكاية الشعبية اصطلاحا:

تداول الحكاية الشعبية بصورة كبيرة في جميع أطراف المجتمع. ولها وجع وشغف خاص من الكبار والصغار، ولازالت في عصرنا الحالي الرغم من التقدم التكنولوجي المتسارع، فقد خف حضورها بسبب وسائل التسلية والفرجة المختلفة، مع ذلك تبقى الحكاية الشعبية تمثل للكثير الماضي في اللغة حول الموقد والعائلة مجتمعة تتجاذب أطراف الحديث والضحكات تملو هنا وهناك والجدة أو الأم تحكي ما تحفظه من حكايات شعبية مسلية لاتخلو من مغزى معين فترسل بها رسائل توجيهية تعليمية للأطفال في قالب قصصي مسلي.

تعرف الباحثة نبيلة إبراهيم الحكاية الشعبية انطلاقا من المعاجم الألمانية قائلة « الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية»¹، أي أن الحكاية الشعبية تسرد خبرا متصلا بحدث ماضي متوسلة الرواية الشفوية لعرض الحدث وصفات الشخصيات وأدوارها، ويعرفها الباحث عبد الحميد بورايو بأنها «شكل قصصي، يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب»².

¹- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دت، مصر، ص 159.
²- عبد الحميد بو رايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة "دراسة ميدانية، الطباعة الشعبية للجيش، دط، 2007، الجزائر، ص 118.

المبدع الشعبي يشقي موضوعات الحكاية الشعبية من أديم الأرض التي يسكنها الشعب، فهي لصيقة بآمال وآلام ذلك الشعب تصوره في كافة تفاصيله اليومية، ويضمن المبدع الشعبي حكاياته مضامين فكرية مختلفة إذ أنها «ترتكز على وجه الإجمال على حدث أو على بطل، وقد يكون هذا الحدث إجتماعيا أو سياسيا أو نفسيا، وقد يكون البطل طفلا صغيرا أو فتى يافعا أو بطلا شعبيا قوميا وتاريخيا، ولكن مهما كان الحدث ومهما كان عمر البطل فإن الشيء الأساسي الذي نلاحظ هو أن الحكاية تصور صراعا كبيرا بين الخير والشر، بين الأخلاق الحميدة والصفات الذميمة السيئة»¹، كأن تسرد الحكاية عن معاناة الأب في توفير رزق عياله ومشاق يومه والمصاعب التي يتعرض لها، أو أن تعرض مغامرة بطل ما في سبيل الحصول على موضوع ما، كما أن الحكاية الشعبية تهتم كثيرا بعرض تفاصيل الشخصيات وأدوارها ولا تغفل تجسيد القيم الخيرة والفرحة بانتصارها على الشر، التشبث في كل مرة ان الخير دائما هو الأصل وهو ثابت لا يتزحزح مهما كانت القوى الشريرة.

إضافة إلى ذلك فإن الحكاية الشعبية «قد وضفت العناصر السحرية بوصفها رموزا توصل البطل إلى حقيقة يجهلها، أي أنها توصله إلى المعرفة»²، فكل ما من شأنه مساعدة البطل للوصول إلى مطلبه الخاص أو الجماعي بالدفاع عن القرية مثلا تمده إياه الوسائط السحرية وتشتت أن تكون للخير فقط.

«إنها إعادة بناء للواقع بطريقة تجعله مأهولا بالكائنات الغريبة، فتخلق عالما يتكلم فيه الحيوان وتتحرك الأشياء وتحرر الغرائز، إنه عالم مفتوح على مصراعيه لكل أنشطة

¹ طلال حرب، أولية النص نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1999، ص122.

² تنييلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص128.

المتخيل: تختلط فيه السخرية والمرح بعنف الرغبات الطفولية وتنطلق فيه حكمة السنين منظمة أحوال البشر من جديد»¹.

وهنا نستدعي من الذاكرة حكاية بقرة اليتامى المتداولة في جميع أصقاع العالم مع تحويرات مختلفة لخاصية التداول الشفوي، تعكس الحكاية الإحساس باليتم والظلم اللذان يلفان الطفلين بعد وفاة أمهما والمشاكل والمصاعب التي أحاطت بهما من كل جانب وسعيهما الحثيث للعيش بسعادة ويكون في نهاية الحكاية كنتيجة حتمية لجلاء الظلام ويزوغ فجر جديد، فبعد الشدة يأتي الفرج والصبر مفتاحه كل هذه القيم والدلالات ركزت الحكاية الشعبية على ترسيخها في عقول الصغار والكبار.

عالم الحكاية الشعبية يستند لواقع الإنسان ثم يضيف عليه بعض العناصر التخيلية لإشباع حاجاته ولتكون في مستوى ما يطمح وكأننا نلحظ وجود علاقة خفية بين الحكاية الشعبية والحلم.

«ولعل أهم ما يجمع بين الحلم والحكاية هو اعتمادها على العناصر التالية:

1. المسرحة: التي تعوض أمنية ما بصورة محققة وتحولها إلى وضعية.
2. التكثيف: الذي يجمع حول عنصر واحد من الحكاية عناصر مختلفة من الواقع.
3. الترميز: الذي يقوم بتمثيل موضوع الرغبة برموز تحقق نفس الوظيفة.
4. النقل والتحويل: الذي يقوم بتحويل موضوع الرغبة إلى موضوع بديل»².

فالعلاقة بين الحلم والحكاية الشعبية تتأسس على الإحتياجات النفسية التي يجد الإنسان متنفسا في الحلم أو الحكاية لتعويضها والشعور بالراحة ولو جزئيا، فينسج سيناريوهات في

¹ محمد فخر الدين، الحكاية الشعبية، بنيان السرد والمتخيل، تقديم مصطفى بعلي، دار نشر المعرفة، 2014، المغرب، ص21.

² محمد فخر الدين، الحكاية الشعبية المغربية، بنيات السرد والمتخيل، ص75.

حلمه وفي الحكاية حول حدث ما ويؤطره بشخصيات ووحبكة متسلسلة، تتجلى المسرحية: بتشكيل شخصيات تتوافق مع الحدث (الرغبة في الزواج، أو الحصول على المال، أو.. أو..)، التكثيف ويكون بالتركيز على رمز ما للتعبير عن الشر أو الخير مثلا الطير للخير والغول للشر وجعله عنصرا أساسيا في الحلم أو الحكاية، الترميز بتضمين الحكاية مجموعة من الدلالات التي هي معنى المعنى وفيها تعبير عن المتخيل الشعبي مثل الحنة وضعها يجلب الخير والفرح ونزعها نذير شؤم، النقل والتحويل يظهر في توسل الحكاية الشعبية الأسلوب غير المباشر في التعبير عن الموضوع أي رغبات الإنسان.

ويمكن أن نعبر عن ذلك بأن «الحكاية الشعبية تواكب التطورات وترصد الأزمات وتصورها وتصور موقف الإنسان الشعبي منها، فالشخصيات النمطية التي مثلت الشطار والعيارين في الأدب الشعبي، تلخص في الوقت نفسه بعضا من قصصهم وموقف الطبقات الشعبية منهم، وبنية الحكاية، في الوقت الذي تقوم فيه بوظيفتها الروائية تؤدي وظيفة أخرى هي التعبير عن موقف الطبقات الشعبية من الأحداث الإجتماعية والسياسية التي تعصف بها»¹. من هنا نفهم ذلك الشغف أو الشوق الذي يعترينا لسماع حكايات الجدات.

ج/- خصائص الحكاية الشعبية:

- مجهولة المؤلف، فلا تعرف المبدع الشعبي لها ولكنها نتيجة إبداع شعبي مشترك بحكم التداول الشفوي.
- التداول الشفوي.
- التوارث جيلا عن جيل.
- الترميز.
- الخيال الخصب.

¹ طلال حرب، أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص126.

- إشاعة الراحة.
- التسلية.
- الأسلوب البسيط البعيد عن كل أنواع التعقيد.
- لها شخصيات وحبكة وحل.
- تسلسل الأحداث.

2- المغازي الشعبية:

من بعد ما تعرضنا إلى الحكاية الشعبية ضمن القصة الشعبي سنتطرق الآن إلى نوع أو جنس آخر من فن القصة الشعبي وهي المغازي الشعبية.

ما هي المغازي الشعبية؟ فيما يتمثل موضوعها؟

ما الدوافع وراء صياغتها واستمرارية تداولها ليومنا هذا؟

أ/- تعريف المغازي الشعبية:

تعد المغازي الشعبية «شكل قصصي يؤديه الرواة المحترفون أداء دراميا من خلال إنشاء الشعر القصصي المصاحب بالعزف على الآلات الموسيقية التقليدية»¹، المغازي الشعبية هي شكل 'خر من أشكال القصة الشعبي يسرده رواة محترفون بعكس الأشكال الأخرى التي يمكن لأي شخص أن يؤديها، فالمغازي تحتاج لراو محترف يتقن فنيات القصة الشعبي بالأخص فن المغازي، والملاحظ أن هذا الفن يكون بمشاركة العزف على الآلات الموسيقية التقليدية وهذا مخالف لما عرفناه في الأسطورة والحكاية والخرافة أي أن العزف بالآلات التقليدية يقتصر على المغازي الشعبية فقط.

¹ عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، "دراسة الأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر، دار القصة للنشر، 2007، الجزائر، ص65.

المغازي جمع مفردة غزوة والغزوة والغزوة، ونقصد بها هنا الغزوات التي قام بها المسلمون لفتح الأمصار لدخول الإسلام وإشاعة الدين الحنيف، سواء غزوة الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أو القادة الذين كان لهم شأن كبير في دحر الكفار وإعلاء كلمة الحق.

تجدر الإشارة إلى أن هذا الفن القصصي متجذر في الذاكرة الشعبية العربية، فهو يمدّها بمخزون من القصص والأخبار عن الفتوحات الإسلامية والأحداث المرتبطة بها من أخلاق القادة ومواقفهم البطولية ومآثرهم التي كانت ولا زالت تحيا في النفوس قبل الكتب.

ولقد عادت وانتشرت رواية المغازي الشعبية في الدول المغاربية خاصة بأن الفترة الإستعمارية أو الإنتداب الإيطالي لليبيا والسبب في ذلك الحاجة إلى ما يعيد إحياء أمجاد وبطولات المسلمين في الأزمان الغابرة أين كان لإيمانهم بالله الواحد القهار أعظم سلاح ضد الكفار، وبما أن المحتل على غير دين أصحاب الأرض، فقد عمد الرواة الشعبيين إلى نشر الرواية الشفوية للمغازي الشعبية في القوى والمداشر وكل الأمكنة التي تعرف كثافة سكانية، لتسري بطولات المسلمين في نفوسهم وعقولهم مجرى الدم في الوريد. لقد أيقضت رواية المغازي الشعبية روح الدفاع عن الإسلام والأرض والعرض، لقد شكلت نقطة فارقة في مواجهة العدو الكلمة الشعبية في مقابل المخططات والأسلحة الإستعمارية.

المغازي الشعبية أصبحت تبث رسائل مشفرة لأبناء الوطن الواحد ليكونوا كأسنان المشط، الفرد للجميع والجميع للفرد.

وبسبب القوة التأثيرية التي كان يتمتع بها رواية المغازي الشعبية فقد أزعج السلطات الإستعمارية وجود الرواة والتفاف الناس حولهم، فشرعت في فض التجمعات وبث الجواسيس لنقل الأخبار ومعرفة السر وراء الإستماع لفن المغازي.

ب/- بنية المغازي الشعبية:

تبنى المغازي الشعبية على مجموعة من العناصر نوجزها فيما يأتي:

أ- التوثيق التاريخي: ونقصد به أن المغازي الشعبية توثق لفترة تاريخية محددة نحو غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة طارق بن زياد وهذه الغزوات وغيرها حدثت بتاريخ معلومة، يقوم الراوي الشعبي بالإشارة إليها والتذكير بها وأحيانا عقد مقارنة بين زماننا اليوم وزمن صحابة النبي الكريم، أو أيام عز الدولة الإسلامية «الفرق بين القصص الشعبي والتاريخ واضح: الأول ينشد ما يجب أن يكون، والثاني يفتش عما كان، وإذا كان القصص الشعبي ينزع دائما إلى التخصيص والتفصيل، فإن التاريخ يحكم المنطق، ويبحث عن المقدمات والنتائج»¹.

ب- العنصر الخيالي: يظهر هذا العنصر جليا في سرد الراوي لموضوع الغزوة بإخفاء بعض الصفات الخارقة على البطل الإسلامي وجعله لا يقهر وأنه بقوة مئة فارس لا يشق له غبار. لا يخاف الخطر فإيمانه بتعاليم الدين الإسلامي تجعله يجابه العدو بكل ثقة ويرى في استشهاده وسام يستحقه وبأن الجنة للشهداء الأبرار، فمثلا يذكر الراوي الشعبي أن الإمام علي كرم الله وجهه كان له سيف بتار يقطع به مئة رأس بضربة واحدة.

ج- المحتوى الديني: المغازي الشعبية الأصل فيها إعادة ذكر غزوة من الغزوات الإسلامية التي قام بها المسلحون في وجه الكفار، فالسبب وراء الغزوة المعتقد الديني الذي انبرى الجميع للدفاع عنه وتمكينه أكثر في باقي أصقاع الأرض والحرص على تبليغ الرسالة الإسلامية في أحسن صورة.

¹ - عبد الحميد يونس، الظاهر ببيرس في القصص الشعبي، دار القلم، د ط، دت، القاهرة، ص5.

د- **العنصر الواقعي:** يتأتى من دمج الراوي الشعبي للواقع مع أحداث الغزوة فما عاناه المسلمون من بطش الكفار، مثلا يشبه ما يعانيه الشعب الجزائري من غطرسة المستعمر الفرنسي، فالإحساس بألم الواقع الماضي والحاضر يجعل المستمع يعاين الوقائع القديمة في ثوب الحاضر.

3- تصنيفات القصة الشعبي:

إن الحديث عن تصنيفات القصة الشعبي مسألة في غاية التعقيد لا يسلم من صعوبتها أي باحث، نظرا لتشعبها وتشابك خيوطها فيما بينها ما يجعل عملية الفصل فيها تحتاج إلى كثير من الجهد والدقة، وسنقوم بعرض إشكالية تصنيف القصة الشعبي من أبرز أوجهها ثم نوجزها حتى يسهل فهمها والتمكن منها.

من أقدم تصنيفات القصة الشعبي نجد ما اعتمده الباحثون إنطلاقا من **المحتوى:** وهو متواجد بكثرة في المصنفات الكلاسيكية والمعروف بتصنيف الفولكلوري الفنلندي أنتي آرنى Antti Arny في كتابه الشهير فهرست أنماط أو طرز الحكايات الشعبية The Type Index Of Folkrois المنشور بتاريخ 1910 ثم قام بعد ذلك الباحث ستيث طومسون Stith Thomsson بإعادة ترجمته إلى الإنجليزية، وبعدها قدم له مراجعة أخرى سنة 1961 مضيفا له ملخصا لما يربو على ألفي حكاية شعبية هندوأوربية، إنطلاقا من تصنيف أنتي آرنى، غير أنه لم يسلم من النقد بخاصة إعماده على الحكايات الشعبية الهندوأوربية فقط، وكذا قصورا لفهرست، لأن الشخصية تتغير من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، في حين أن الحدث هو المشترك الأساس الذي يجمع فيما بينها¹.

وقد اعتمد ستيث طومسون في تصنيفه إستخراج الأنماط التالية:

¹- أنظر: أحمد علي مرسى، مقدمة في الفولكلور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، ص233.

حكايات الحيوانات، الحكايات الخرافية، الحكايات الدينية، الحكايات الخيالية، حكايات اللصوص وقطاع الطرق، حكايات العفريت المخدوع، الحكايات الهزلية، الحكايات الهزلية عن الرهبان، حكايات الأكاذيب، حكايات المغامرات، حكايات الخيل والخداع .. حكايات غير مصنفة¹.

وهذا التصنيف متحدد بين الشخوص والموضوعات والمعتقدات بمعنى لم يلتزم منهاجا محددًا يسير عليه وهو النقد الذي وجه إليه وهناك من اعتمد على وظيفة الحكاية متمثلا في العمل الذي قام به تيودور بنفي Tiodor Benfey فكل حكاية لها وظيفة تؤديها ولكن هذا التصنيف لم يسلم من النقد، إذ رأى البعض أن الوظيفة ليست ثابتة فهي تتغير بسبب السياق الذي ترد فيه لذا لا يمكن عد الوظيفة أساسا قارا للتمييز بين أنواع القصة الشعبي.

ونجد الباحث الألماني أندريه يولس André Jolles الذي وضع كتابا هاما في هذا المجال سماه الأشكال البسيطة Formes Simples وانطلق في عملية التمييز من المنطلق الفكري لكل نوع من الأنواع القصصية، وهذا التمييز يقف على محورين أساسيين وهما:

الأول: إستنادا إلى صيغة الخطاب إن كان: إستفهاميا، إثباتيا، أمويا، ندائيا، صامت.

الثاني: يقوم على المزوجة بين الأشكال الفرعية البسيطة، إذ أن كل صيغة خطاب تتفرع إلى شكلين الأول واقعي والثاني مثالي وجمع ذلك الباحث هنريك بيكر Henrik becker في المقترح المبين في الجدول الآتي²:

¹ - أنظر: عزاء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبيتين الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997، مصر، ص13.
² - عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي في الجزائر، ص83 نقلا عن Andre Jolles, Formes Simples, traduction d'Antoine Marie, Buguet, p8.

محاضرة القصة الشعبي وأنواعه وتصنيفاته.

الطلب Optatif	الأمر Impératif	الصمت Silence	الإثبات Indicatif	الإستفهام Interrogatif	
أمثلة Fable	قول مأثور Locution	لغز Devinette	سيرة مأثورة Geste	أحدوثة Cas	واقعي Réaliste
حكاية Conte	خرافة بطولية Légende	حكمة D'esprit Trait	مآثر Memorable	أسطورة Mythe	مثالي Idéaliste

وهناك عمل آخر قام به الباحث الألماني فريدريش فون ديرلاين Fridrich Von Der Leyn المسمى الإحساس بالشكل أي أن كل شكل أدبي شعبي يتميز عن الآخر في عناصر فنية تحده وقواعد مضبوطة تؤطر شكله.

ثم يأتي الجهد الذي بذله الباحث الروسي فلاديمير بروب في الدراسة الوصفية للحكايات الخرافية والإهتمام بوحدها الجزئية على غرار ما هو معمول به في علم البنيات المتعمق في الجزئيات والبنيات الصغرى، جهده هذا كان له أثر كبير في الإهتمام ببنية الخطاب الحكائي، لكن النقد الذي تلقاه تمثل في الإهتمام بالتنوعات الفرعية للحكاية الخرافية على حساب عناصرها الأساسية.

كما اقترح الباحث ميشال سيمونسن Michel Simonsen جدولاً يحدد في تصنيفه على هذا النحو:

النوع	الموقف	الشكل	أطراف الصراع	الوظيفة الاجتماعية
الأسطورة Mythe	حقيقة	شعر	آلهة، أبطال	طقس
أغاني المآثر أو	حقيقة	شعر	بشر، قبائل، سلالة	سياسية ترفيهية

محاضرة القصة الشعبي وأنواعه وتصنيفاته.

السيرة المأثورة Geste				
قصة بطولة خارقة Légende	حقيقة	نثر	آلهة، كائنات خارقة، أولياء، بشر	درس أخلاقي واعظ
حكاية Conte	خيال	نثر، مسجوعة	بشر، كائنات خارقة، حيوان	تسلية
نادرة Anecdote	حقيقة	نثر	بشر	خبر/تسلية

وفي العالم العربي نجد عديد المحاولات الخاصة بتصنيف القصة الشعبي سنوجز بعضها، نذكر الباحثة نبيلة إبراهيم التي قامت بتقسيم القصة الشعبي اعتمادا على الجانب البيئي أي السياق: حكايات الواقع الأخلاقي حكايات الواقع الإجتماعي حكايات الواقع السياسي، حكايات العالم الغيبي، حكايات المعتقدات، الحكايات الهزلية.¹

أما الباحثة غراء حسين مهنا فاعتمدت موضوع فكان تقسيمها كالاتي الحكايات الخرافية، حكايات الحيوان، الحكايات الدينية، الحكايات الهزلية، حكايات التحذير.²

بالإضافة إلى ذلك نعرف إلى ماقامت به الباحثة الجزائرية ليلي روزلين قريش في كتابها المشهور القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، أسست تصنيفها على أسس وهي 1 حجم القصة، 2 فكرتها الرئيسية، 3 شخصياتها، فرأت بأن هناك قصص طويلة وقصص قصيرة.

القصص الطويلة: قصص البطولة والخرافات وفيها ما يتعلق بالأساطير والخوارق والحيوان والجن.

¹ - نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، 1974، بيروت، ص 29.

² - غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، ص 12.

القصة القصيرة: موضوعاتها لأخلاق لها غايات الوعظ والتسلية.

من بعد ذلك قسمت قصص البطولة إلى 1/قصص بطولة دينية، 2/قصص بطولة وعظية، 3/قصص بطولة بدوية، 4/قصص بطولة حديثة، أما الخرافة الشعبية فقد قسمتها إلى خرافة دينية، خرافة حول شخصيات واقعية غير دينية، خرافة حول الجن، خرافة محلية، القصص القصيرة قسمتها إلى قصص التسلية، قصص تخفيف عن مكبوتات، قصص ذات مغزى¹.

اعتبر الباحث عبد الحميد بورايو ما قامت به الباحثة فيه بعض التقصير فاعتمدها على الطول والقصر لم يكن مضبوطات بالشكل الجيد فمثلا الكثير من القصص المقتبسة عن ألف ليلة وليلة والتي ضمتها الباحثة لقصص التسلية هي أطول بكثير من قصص كرامات الأولياء ومن ناحية اعتمدتني الفصل بين قصة البطولة والخرافة الشعبية على المحتوى، وأحيانا تعتمد الشخصيات للفصل بين القصص فالباحثة وضعت في النقد الموجه لمحاولات التصنيف على أساس المحتوى والوظيفة².

لدى اعتمد الباحث عبد الحميد بورايو على مراعاة العناصر الثابتة ذات الطبيعة الشكلية بصفة أساسية في التصنيف إضافة إلى ما أسماه بالتمييزات التي عينها حملة التراث وعلى اختلاف سياق أداء القصص ومناسباته وتتبع الظروف التاريخية التي تطور فيها كل نوع وكل شكل فرعي وقد أفردتها في الجدول الآتي:

¹ - أنظر: عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي في الجزائر، ص 87.

² - أنظر: المرجع السابق، ص 87، ص 88.

محاضرة القصة الشعبي وأنواعه وتصنيفاته.

الأصناف الأساسية	-قصص البطولة	الحكايات الخرافية	الحكايات الشعبية
الأصناف الفرعية	قصص البطولة البدوية قصص المغازي قصص الأولياء قصص الزهراء قصص الخارجين عن القانون قصص الثوار	الحكايات الخرافية الخالصة حكايات الأغوال الغبية	حكايات الواقع الإجتماعي الحكايات المحلية حكايات الحيوان النوادر

وهناك باحثون آخرون نوعو في مسألة التصنيف اكتفيا بأشهرها فقط حتى لانهمل فائدة هذه المحاضرة وهي التعرف على القصة الشعبي وأنواعه.

● خلاصة القول:

القصة الشعبي نمط سردي شعبي يتوسل اللغة المحكية البسيطة سهلة التداول لإستمالة الملتقى وهذا النمط تتدرج ضمنه الأنواع السردية الشعبية من أسطورة سيرة مغازي حكاية خرافة، اعتمدنا على الحكاية في هذه المحاضرة والمغازي بشيء من التفصيل واستنتجنا ما يأتي:

- الحكاية الشعبية جنس أدبي شعبي متداول بشكل كبير بين أطراف المجتمع.
- الحكاية الشعبية تتميز بالطول حيناً والقصر حيناً آخر.
- لغة الحكاية الشعبية سهلة ومتداولة بشكل يسر.
- تتضمن الحكاية الشعبية شخصيات واقعية.
- تطرح الحكاية الشعبية الواقع بكل جوانبه الخيرة والشديدة.
- تتضمن عديد المضامين الفكرية والتربوية.
- تنقسم الحكاية الشعبية إلى حكايات الواقع الإجتماعي وحكايات الحيوان والحكايات المرحة.

على مر العصور كانت ولا زالت الأغنية بصفة عامة والشعبية بصفة خاصة تسكن الوجدان وتلهم الخيال، لشدة الإرتباط بالعاطفة الإنسانية بوجه عام أو الذاتية بوجه خاص، فعرف الإنسان طوبعا مختلفة للغناء ومازال ليومنا هذا ينهل من الثقافات الإنسانية المختلفة وفي هذه المحاضرة سنتعرف على مفهوم الأغنية الشعبية وأهم المجالات التي تصاغ فيها؟

1. مفهوم الأغنية الشعبية:

أ- المفهوم اللغوي:

الأغنية وهي ما يغنى به من الكلام ويترنم به من الشعر، وتكون اموسيقى مصاحبة له في كثير من الأحيان، جاء في لسان العرب أن الغناء هو كل من رفع صوته ووالاه، فصوته عند العرب غناء

ب- المفهوم الإصطلاحي

حظيت الأغنية الشعبية بحيز كبير من الإهتمام في الدراسات الشعبية الغربية والعربية، نظرا لتغلغلها في الضمير الجمعي والوجدان الفردي والجماعي أيضا، تُعرف الأغنية الشعبية على أنها «أغنية نظرية لا أثر فيها لصفة معتمدة ارتجلها فرد مجهول من أفراد الشعب بطريقة بدائية، لا كلفة فيها ولا تكنيك (...) وتناقلها الأبناء من آبائهم والبنات من أمهاتهن (...)، وترافق هذه الأغنيات صورة واضحة عن العادات والخرافات والمعتقدات التي تتحلى بها تلك الشعوب»¹.

فالأغنية الشعبية عن حالة أو انفعال مخصوص يتأثر به المرسل، لينقله بعد ذلك للمتلقى بكل إنسانية بعيدا عن التعقيد أو التكلف، تتوارث وتتداول من جيل إلى جيل في صورة بسيطة توضح شدة التصاق والتمام أفراد الشعب بها، كما أن الأغنية الشعبية تعكس مختلف الممارسات والطقوس والأفكار التي تتصف بها الجماعة الشعبية.

يرى الباحث ألكسندر هجرتي كراب أن الأغنية الشعبية «قصيدة شعرية ملحنة مجهولة المؤلف، كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية، وماتزال حية في الإستعمال»²,

¹ - يسرى جوهريّة عرنيطة، الفنون الشعبية في فلسطين، مركز الأبحاث، 1986، بيروت، ص 32.

² - الكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر أحمد رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف والنشر دار الكتاب، 1967، مصر، ص 53.

والمساق ذاته أقره الباحث فوزي العنتيل «هي قصيدة غنائية ملحنة مجهولة النشأة، بمعنى أنها نشأت بين العامة في أزمنة ماضية، وبقيت متداولة أزمانا طويلة»¹، يفهم من القولين أن الأغنية الشعبية تصاغ في قالب قصيدة شعبية يراد غناءها، متداولة منذ القدم بين الأميين، ولا زالت تحضر في الأوساط الشعبية وتردد بشكل مستمر في مناسبات خاصة.

يعرفها الباحث مجدي محمد شمس الدين بأنها «تعبير صادق عن واقع الحياة، وهي تعكس المشاعر والأحاسيس الشعبية، كما تتمثل في ضمير الشعب ووجدانه، كما أنها قادرة على التعبير على الفرح والسرور والحزن والبؤس»²، من هذا القول أن الأغنية الشعبية شأنها شأن بقية الأجناس الأدبية الشعبية صادقة التعبير لأنها تعبر عن انفعالات ذاتية أو جماعية وتتضمن أفكارا ورؤى المجموعة الشعبية بكل عفوية دون حاجة لتصنع أو المبالغة في التعبير، لذا تلامس القلوب والعقول وتبقى خالدة على مر الزمان.

إضافة إلى ذلك يعتبر الباحث أحمد مرسى أن الأغنية الشعبية هي «الأغنية المرددة التي تستوعبها حافظة جماعة، تتناقل آدابها شفاها، وتصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي»³، وقال أيضا «الأغنية الشعبية تجسيد لعقل المجتمع وميوله الفكرية والأخلاقية»⁴، بساطة الأغنية الشعبية لاتنفي عنها مضمون عمقها الفكري ونقلها للوعي الإنساني للموجودات المادية والمعنوية، فيمكن عنها تعبير فردي عن ضمير جمعي، تنتشر بسرعة كبيرة سهولتها وأنغامها المتنوعة وكذلك ترتبط بأحاسيس الناس وتتواصل مشاعرهم، إنها تتميز بالنعمة والحن، مما يجعلها تنتشر وتتغلغل داخل الإنسان الشعبي.

ولأنها تعكس الواقع الإنساني بمختلف أشكاله فهي تعد بذلك «جزء أساس من ثقافتنا، وهي بطاقة الهوية بالنسبة للشخصية الوطنية أو القومية في أية أمة من الأمم، إنها المرآة

¹ - مجدي محمد شمس الدين، الأغنية الشعبية بين الدراسات الشرقية والغربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2008، مصر، القاهرة، ص 27.

² - المرجع نفسه، ص 78.

³ - أحمد مرسى، الأغنية الشعبية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 1970، مصر، ص 23.

⁴ - المرجع نفسه، ص 36.

التي تنعكس فيها نفسية شعب من الشعوب، ومن الملامح المبتوثة في الأغنية الشعبية تتشكل الملامح الطبيعية العامة لشخصية هذا الشعب أو ذاك»¹.

وهو ما عبر عنه الباحث أحمد مرسي قائلاً «يقوم المجتمع الشعبي بإخضاعها لوجدانه وعقله الجمعي، كي تلائم التعبير عن حاجاته المتعددة»².

وعلى اعتبار أن الأغنية الشعبية قصيدة مغناة تتنوع آلاتها وتختلف بحسب السلم الموسيقي الذي تتدرج ضمنه، فنجد الآلات الوترية وآلات النفخ، كما يمكن أن تؤدي الأغنية الشعبية دون إيقاع مثل أغاني العجائز في الأعراس عند استقبال العروس أمام بيت العريس ترحيباً وفرحاً بقدمها واستبشاراً بالخير القادم على أثرها.

2-مجالات الأغنية الشعبية

والمقصود هنا المواضيع التي تبحث فيها الأغنية الشعبية وهي على كثرتها إلا أنه يمكن إجمالها فيما يأتي:

- **أغاني الأفراح:** وهي التي تردد في مناسبات الأعراس وحفلات الختان وكل ما يتصل بالأجواء المبهجة السعيدة في وجودها الخاص أو العام، فتكون ألفاظها مفعمة بالشعور بالسعادة. وتنتشر مع الإيقاعات الصاخبة بالحفلات أو الدف أو أي آلة تتناغم مع الجو العام للأغنية الذي أساسه الفرح والسرور.
- **أغاني المواسم الزراعية:** وهي الأغاني التي تؤدي خلال مسم الحصاد وباقي المناسبات الزراعية نحو التويزة.
- **أغاني المناسبات الدينية:** وهي الأغاني التي تردد في المناسبات الدينية نحو زيارة بيت الله الحرام أو الإحتفال بالمولد النبوي الشريف وغيرها من المناسبات الدينية التي تؤدي في كافة المناطق العربية.

¹ - مجدي محمد شمس الدين، الأغنية الشعبية بين الدراسات الشرقية والغربية، ص 09.

² - أحمد مرسي، الأغنية الشعبية، ص 10.

3- الخصائص الفنية للأغنية الشعبية:

تملك الأغنية الشعبية أو تتوافر على مجموعة من الخصائص الفنية نجملها فيما يأتي مع مناقشة البعض منها:

1. مجهولة المؤلف:

على غرار الكثير من أجناس الأدب الشعبي فالأغنية الشعبية مجهولة المؤلف لايعرف مبدعها الأصلي هذا في الغالب على خلاف ماهو اليوم عصر التكنولوجيا وحقوق الملكية الفكرية، لذا يرى الكثير من الباحثين أن «عدم نسبة الأغنية الشعبية إلى مؤلف معين دليل على خلقها التلقائي من قبل جماعة بشرية دونما فردية أو وعي»¹، وقال أيضا الباحث مجدي محمد شمس الدين بأنها «نشأت بين الشعب وتداولها أفرادها فاستقرت بينهم قبل أن يقوم الجامعون بتدوينها قبل أن تتناولها طبقة المغنيين المحترفين»²، فمجهولية مؤلف الأغنية الشعبية أمر طبيعي لأن المجتمع اهتم بالنص أكثر اهتمامه من القائل ولذوبانه وانصهاره من قمة في الطبقة العريضة للمجتمع، كل ذلك جعل الأغنية الشعبية متجذرة في الأوساط العامة.

2. التغيير:

على اعتبار أن الأغنية الشعبية تتناقل شفاهة، وذلك يسمح لها يحدث إضافة وتحولات على كلماتها ومعانيها، أي أن «النقل الشفاهي مهمة رئيسية في إيجاد نصوص غنائية متغيرة حتى نكاد لانجد نصا واحدا يسلم من التغيير والإضافة»³، فخلال مسيرتها الشفاهية نتعرض للتعديلات وخافات «ولا يمكن أن توجد بشكل نهائي وأصيل، فهي دائما تتغير وتتبدل مرارا في أثناء عملية الانتقال بالشفاهة، وهي تارة تزداد غنى نتيجة لهذه التغيرات، وكثيرا ما تفتقر وتصبح ذات عذوبة مصطنعة ومتبذلة مرة أخرى»⁴.

¹ - أرنولد هاووزر، فلسفة تاريخ الفن، تر رمزي عبده، المركز القومي للترجمة، 2008، مصر، ص 299.

² - مجدي محمد شمس الدين، الأغنية الشعبية بين الدراسات الشرقية والغربية، ص 31.

³ - عبد الأمير جعفر، الأغنية الفولكلورية في العراق، مجلة التراث الشعبي، ع4، دار الحرية للطباعة، 1974، بغداد، ص 84.

⁴ - أرنست فيشر، ضرورة الفن، تر ميشال سليمان، دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1970، بيروت، ص 32.

جماعية الأغنية الشعبية جعلها تكتسب شكلا نهائيا فنيا يتواءم مع الذوق العام، وهذا يعطى الجمهور حرية امتلاكها ومن ثمة التعديل والإضافة حسبما يراه مناسبا لذلك فالتغيير خاصية أساسية في السمات الفنية للأغنية الشعبية.

3. الغنائية:

تتعلق الأغنية الشعبية من طبيعة غنائية ذاتية خالصة، يترجم من خلالها المؤلف أحاسيسه ورؤاه ما يختلج صدره، وما تطرحه أمامه الحياة من قضايا خاصة أو عامة، فهي «غنائية في جوهرها أي ذاتية في المقام الأول، وهي تتناول موضوعها بطريقة جادة، وقد تنقصها خلال العواطف أو تنوع درجاتها، ثم إن ألوانها جهيرة شأن الألوان في الصناعات الريفية ومزاجها العام ليس فرحا»¹، إضافة إلى ذلك فتلك الغنائية تمتزج بالعواطف الجماعية والسياق الاجتماعي فتزداد قربا من مستمعها وناقليها، ويتم تداولها على نطاق واسع وعلى امتداد الزمن البشري «إنها الأغنية التي يرددها الشعب ويستوعبها ويتناقلها وتصدر عن وجدانه، وتعبّر عن آماله وليس شرطا أن يكون الشعب هو مؤلفها تبناها من مؤلفها الأصلي المجهول فأصبحت ملكا للشعب كله»²، أي أن الغنائية تسمح لها بأن تكون ملك للجماعة وتخزن في الضمير الجمعي.

4. السهولة والبعد عن التكلف:

لا يحتاج المبدع الشعبي للتصنع والتعقيد لضمان انتشار وكثرة تداول أغنيته الشعبية، بل على العكس من ذلك كلما كانت الأغنية بسيطة مفعمة بالأحاسيس كلما نفذت للقبول والعقول في آن معا، فسهولة كلمات الأغنية الشعبية تجعلها قريبة من الذوق العام فيستأنسونها ويتداولونها بشكل أكبر «وما كانت الأغاني يوما توجب التعقيد والجمل الصعبة الفهم، وإن تطورت لغتها وتباينت على توالي العصور»³.

السهولة تجعل الأغنية أكثر التصاقا بمفهوم وآمال الشعب، ويتفاعلون معها يحافظون عليها فهي مرآة عاكسة لكل حياتهم في كل زمان ومكان «هي تلك الأغاني التي تصدر عن

¹ - الكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، ص 257.

² - لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي، دار الحرية، 1979، بغداد، ص 17.

³ - سليم الحلو، الموشحات الأندلسية نشأتها وتطوراتها، دار مكتبة الحياة، 1995، بيروت، ص 77.

الرجال والنساء على السواء، وتكون سهلة خالية من التعقيد قصيرة فيسهل حفظها ولها نغمة موسيقية، وهي تتناقل بين الناس، فتنسب إلى الشعب وينسى مبدعها الأصلي، وهي تعكس مشاعرهم»¹.

5. سرعة الانتشار:

تمتاز الأغنية الشعبية بسرعة وسهولة الانتشار ذلك أن «الألحان تفرد لها أجنحتها حتى الحدود الوطنية واللغوية، لا تُولف حواجز تستعصي على العبور والإجتياز»²، العناصر اللغوية والإيقاعية وموضوعاتها المتصلة بالفرد والجماعة كل ذلك يسهم مساهمة فعالة في سرعة انتشار الأغنية الشعبية.

6. اللحن الموسيقي:

الأغنية الشعبية هي قصيدة شعرية مغناة، بمعنى تؤدي غناء وهذا يستلزم لحنًا موسيقيًا يتناسب مع الكلمات وجوها العام، لدى تنوعت الطبوع الغنائية الشعبية على امتداد الوطن العربي بصفة عامة والمغاربي بصفة خاصة، وحتى الدولة الواحدة، نظرا لتنوع العادات والثقافات والأذواق.

وهناك خصائص أخرى للأغنية الشعبية نحو:

- اللهجة المشتركة.
- التداول الشفوي والآن أصبح سمعي ومرئي.

خلاصة:

- الأغنية الشعبية شديدة الارتباط بالمجتمع شكلا ومضمونا.
- الأغنية الشعبية تعكس الواقع النفسي والاجتماعي للمجتمع.
- تعبر الأغنية الشعبية عن ذاتية المؤدي وجماعية المتداولين.
- الأغنية الشعبية قصيدة شعبية تلحن وتغنى.
- تنتوع مناسبات الأغنية الشعبية وسياقاتها التواصلية.

¹ - محمد سعيد محمد، قراءات في أغاني الرحي، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2006، ليبيا، ص 10.

² - عيسى الجرارة، الأغنية الشعبية في قطر، مجلة التراث الشعبي، ع 9، 1974، بغداد، ص 181.

يحفل التراث الشعبي بعدد المآثورات الشفهية التي اتصلت بالإنسان في كافة جوانب حياته، والممتدة إلى أجيال لاحقة بمختلف التأثيرات. ومن بين تلك المآثورات نجد السيرة الشعبية التي على اختلاف موضوعاتها تبقى شديد الإتصال بالتاريخ البشري فما مفهوم السيرة الشعبية وما طبيعة شخصياتها وخصائصها الفنية؟.

1- مفهوم السيرة الشعبية:

أ-المفهوم اللغوي: ذكرت المعاجم العربية أن السيرة الشعبية هي «الطريقة، يقال: سار بهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة، وسير سيرة حدث أحاديث الأوائل»¹، تدل السيرة على الهيئة والطريقة، نحو قوله تعالى «سنعيدها سيرتها الأولى»².

ب-المفهوم الإصطلاحي: السيرة هي أخبار الأولين تروي أقوالهم وأفعالهم، تصور حياتهم وما يتعلق بها في تفاصيلها البسيطة والمعقدة، يعرفها الباحث ألكسندر هجرتي كراب «السيرة النثرية هي -بادئ ذي بدء- سيرة عائلة، تعني بالأنساب، وتعني على نحو ما، بعبادة الأسلاف بالمعنى الواسع لهذا المصطلح، وينبني على هذا الإفتراض أن تزدهر السيرة النثرية حيثما نستطيع أن نقول بوجود عبادة للأسلاف في معناها الأسمى، أي في المجتمعات الأستقرائية»³.

السيرة تخص الأنساب فهي تنقل أخبارا عن عائلة ما هذا من جهة ومن جهة أخرى ترصد المعتقدات الدينية بالمعنى الواسع أي الإطار الذي يحتضن سيرة تلك العائلة ويضبط جزئياتها وهذا بحسب الكسندر هجرتي كراب.

¹-ابن المنظور، لسان العرب، ج4، مادة (س، ي، ر)، ص390.

²-سورة طه، الآية [21].

³-الكسندر هجرتي كراب، علم الفلكلور، تر أحمد رشدي صالح، وزارة الثقافة ومؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي، مصر، ص 227.

والجدید بالذكر أن السيرة بصفة عامة تدور حول حياة فرد أو قبيلة أو مجتمع أو أمة ما، فنتعمق فيها وفي نقل صورة عنها، نحو السيرة النبوية فالرسول الكريم قدوة حسنة وجب الإقتداء بسيرته العطرة.

يرى سعيد يقطين «يطلق تسمية هذا النوع بالسيرة الشعبية تمييزاً لها عن السيرة النبوية والسير التي كتبها مؤلفون معروفون عن شخصية بعينها»¹، أوضح الباحث إختلاف السير الشعبية عن السيرة النبوية التي تقتصر على ذكر كل ما يتعلق بالرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، في حين أن السيرة الشعبية تعرض سيرة فرد ما أو قبيلة ما أو مجتمع ما شرط أن تحمل شخصية السيرة كل الصفات الحميدة والنبيلة التي يمثّلها المجتمع ويسعى للوصول إليها.

فسيرة عنترة تتناول حياة العرب في العصر الجاهلي، فتصورها لنا من جميع وجوهها، وتطلعنا على عادات العربي في ذلك الزمن وأيامه وشجاعته وكرمه وحبه ووفائه، وتضحيته وحبه الضيف، مراعاته للجوار، وماشا كل هذه الصفات التي اشتهر بها العرب².

لذا نجد الكثير من السير الشعبية تحتفي بقيمة خلقية على قدر كبير من الأهمية في المجتمع، وتؤكد على ضرورة التمسك بها نحو الشجاعة أو الكرم أو الإيثار إلى غيرها من القيم الخلقية الحميدة، إضافة إلى ذلك تستند السيرة إلى معطيات تاريخية معروفة «فقد حاكها الرواة حول أبطال تاريخيين معروفين كالمهلهل وعنترة بن شداد... إذ تصور بطولات خارقة أصحابها أبطال تاريخيون عاشوا في الذاكرة الشعبية وتضخمت أفعالهم عبر الأجيال»³.

¹- سعيد يقطين، الكلام والخير "مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، 1997، بيروت، ص98.

²- موسى سليمان، الادب القصصي عند العرب، دار الكتاب، 1950، بيروت، ص89.

³- المرجع نفسه، ص88.

ومن الأحداث التي تأتي السير الذاتية كثيرا على ذكرها هي الحرب بين طرفين متصارعين وتتضخم الأحداث في ذلك الموضوع لتأخذ حيزا كبيرا داخل السيرة الشعبية «حروب السيرة حروب قومية ذات مسحة دينية، وهذا طبيعي لأن الدين دين الجماعة وقانونها ونظم حياتها، فحروب سيرة الملك سيف بن ذي يزن جرت بين اليمنيين والأحباش، وحروب قصة الأمير حمزة البهلوان جرت بين العرب والفرس، وحروب سيرة الأميرة ذات الهمة حدثت بين العرب والروم، وحروب سيرة الظاهر ببرز جرت بين العرب والإفرنج»¹.

وإذا انتقلنا إلى نقطة أخرى هامة وهي أن السيرة الشعبية على الرغم من كثرة أحداثها وتشعبها وتنوع الشخصيات وحجمها السردى الطويل، إلا أنها لازالت ليومنا هذا تتداول وتحفظ بكثير من أحداثها وعناصرها الفنية رغم التطور التكنولوجي المتسارع، فكما يقول الباحث فيلشتينسكي «إن سيرة سيف بن ذي يزن أثر أدبي يتسم بقيمة كبيرة، فإن حبكةها المتنوعة والمشحونة بمختلف الإنعطافات المبالغية والمواقف الحادة، تبدو نشيطة أخاذة جذابة حتى بالنسبة للقارئ المعاصر الذي فقد لدرجة كبيرة ولعه بالحكايات والمغامرات الأسطورية»²، ويعود أيضا سبب ولوع الفرد العربي بالسيرة الشعبية هو تجسيدها للمثل العليا والبطولة التي يصبو إليها.

2- خصائص السيرة الشعبية:

- بطل السيرة الشعبية مثالي، يلتزم بمبادئ الجماعة والمثل الأخلاقية والدينية ويطبقها خير تطبيق.
- في البدء كانت السيرة الشعبية متداولة شفهيًا، أما اليوم فهي مدونة ومتنوعة المصادر الشفهية والمكتوبة.

¹ - المرجع السابق، ص 535.

² - طلال حرب، أولية النص "نظرات في النقد والقصة والأسطورة والادب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999، بيروت، ص 221.

- السيرة الشعبية معرضة للتغير والتبديل والحذف بحكم الرواية الشفوية.
- لا تقدم السيرة الشعبية حياة فرد فقط، بل حياة أمة كاملة فترصد تطلعاتها وآمالها وتحقق أحلامها.
- الزمن في السيرة الشعبية معلوم بحكم تعرض فترة تاريخية معروفة، أما المكان فهو متغير بتغير الأحداث.
- مجهولة المؤلف، فلا يعرف مبدعها الأصلي.
- متوارثة جيلا عن جيل.
- تخاطب السيرة الشعبية الوجدان الشعبي في المجتمع.
- تستخدم لغة بسيطة مفهومة سهلة التداول.
- تكثر من استخدام المحسنات البديعية والصور البيانية.
- يتقن القاص الشعبي المحترف في عرضها على الجمهور بين الصوت والحركة والأداء.

3- أشهر السير الشعبية:

سيرة عنتر بن شداد، سيرة الزير سالم أبو ليلى المهلهل، سيرة بني هلال، سيرة الأميرة ذات الهمة، سيرة سيف بن ذي يزن، سيرة الملك الظاهر بيبرس، سيرة حمزة البهلوان.

4- أهمية السيرة الشعبية:

تعرض السيرة الشعبية في العموم حياة فرد ما أو قبيلة ما، انطلاقا من وقائع تاريخية حقيقية ثم تعمد إلى مزجها بعنصري الخيال والتشويق لإخفاء اللمسات الأدبية عليها، وترك صدى مميز لدى جمهور المستمعين أو القراء، كما أن السيرة الشعبية ترصد الوقائع الحياتية والهواجس النفسية والطموحات التي تشترك فيها الذات الإنسانية، أي أنها «تحمّل ما يمكن أن نسميه التفسير النفسي والشعبي للحوادث التاريخية في حقيقته تعويض نفسي يلجأ إليه الفنان الشعبي لكي يتجاوز الواقع بحدوده الزمانية والمكانية صوب اللا محدود زمانا

ومكانا، لي طرح للناس ما تحتاجه عقولهم وعواطفهم من تعويض... ولا يلبث الحدث التاريخي الحقيقي أن يتوارى خلف تراكمات الخيال التي تضع متنفسا حقيقيا للمشاعر الشعبية الحقيقية من ناحية، ولتبرير مشاعر الإحباط والحيرة في أوقات الأزمات من ناحية أخرى¹، تلخص بذلك السيرة الشعبية المشاركة الوجدانية بين الأفراد وأنصارهم في بوتقة واحدة وأحلامهم وأحزانهم وأفراحهم وآلامهم حول مستقبلهم كمجموعة إنسانية تشترك في عديد العناصر.

خاتمة:

- السيرة الشعبية نص سردي طويل الحجم يقارب جنس الرواية حاليا.
- تتغلغل السيرة الشعبية في الأوساط الشعبية والمتنفة بشكل واضح.
- لا تكتفي السيرة الشعبية بنقل الوقائع التاريخية فقط بل الممارسات الإنسانية والمشاعر الدفينة.

¹ -قاسم عبده، بين التاريخ والفولكلور، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2008، مصر، ص93.

يختبر الإنسان في مشواره الحياتي عدة مواقف وأحداث تحدث تغيرات إيجابية وأخرى سلبية في حياته، تترك بصمة حسب السياق والأثر الناتج عنها، وعلى العموم كل تلك المواقف والأحداث هي تجارب على قدر كبير من الأهمية يتعلم منها الكثير، ويقوم بتلخيصها في جملة أو كلمة تختزن تلك التجربة وتكون درسا يستفيد منه الآخرون وهو ما يطلق عليه المثل الشعبي.

فما مفهوم المثل الشعبي، وماهي خصائصه، وفيما تكمن أهميته وأسئلة أخرى سنجيب عنها تباعا في هذه المحاضرة.

1-تعريف المثل: عرّف ابن منظور المثل قائلا « **مَثَلٌ كَلِمَةٌ تَسْوِيَةٌ يُقَالُ هَذَا مَثَلُهُ وَمِثْلُهُ،** كما يقال شبيهه (...). **والمثل الشبهه يقال: مِثْلٌ مَثَلٌ وَشَبَّهَ وَشَبَّهَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ (...).** **والمثل والمثيل:** كالمثل، والجمع: أمثال، **والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا " فيجعل مثله" ¹**، أما الزمخشري فقال « **المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظر ثم قيل للقول السائر الممثل مضر به بمورده: مَثَلٌ...» ²**، ويقول أيضا في كتابه أساس البلاغة « **مثل: مثله، مثيله، مماثله، مثله به شبيهه، تمثل به، تشبه به، مثل الشيء بالشيء، سوى به وقدر تقديره وحذاه على المثال وعلى الأمثلة والمثل، ومثل مثلا، وممثله: اعْتَمَلَهُ وَمِثَّلَ التماثيل ومثلها: صورها ³.**

مما سبق المثل يُقصد به المماثلة والمناظرة والشبه والتسوية، ومن الناحية الاصطلاحية يرى المرزوقي أن المثل « **جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلّة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل كما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها**

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مج 11، دار صادر، دط، دت، بيروت، مادة (م،ث،ل)، ص 234.

² - الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تصحيح عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، 2003، بيروت، ص 35.

³ - الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل، مج 1، دار الكتب العلمية، 1998، مصر، ص 402.

في لفظها وكما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فذلك تضرب وأن جهلت أسبابها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف، ومضارع ضرورات الشعر مالا يستجاز من ضرورات الكلام»¹.

يوضح المرزوقي المثل بأنه إما أن يكون جملة قصيرة موجزة أو مرسلة، يتخطى بها المثل بالتوافق والقبول من العامة، فيذيع وينتشر لما يختزنه من دقة تصوير وإصابة المعنى، فيتداول من دونه زيادة أو نقصان لأنه لا يحتاج إلى إفهام فمعناه متضمن فيه.

ويرى أبو عبيد القاسم بن سلام أن الأمثال «حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وأنها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه»²، يُقر أبو عبيد أن للمثل قدرة فائقة على تلخيص التجربة الإنسانية الطويلة وإعادة تركيبها ضمن قول موجز ينطلق نحو المعنى بدقة متوسلا حسن التشبيه فيكون للمثل مزايا في الشكل والمضمون لا يمكن إغفال أهميتها، وقد عبر الفارابي عن رأيه في المثل قائلا «المثل ما ترضاه العامة والخاصة، في لفظه ومعناه، حتى ابتدلوه فيما بينهم، وفاقوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتواصلوا به عند المكروه والمكربة، وهو أبلغ من الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة»³.

كالمثل ما اتفقت عليه العامة والخاصة من إصابة المعنى وحسن الوصف وبلاغة المقصد وتوجيهه للإفهام، فيحظى على التقدير والتداول بين السواد الأعظم دون حاجة لتعليل، أو كثير من الشرح فهو يفيد دون إطناب أو حشو، وردت لفظة المثل في القرآن الكريم في كثير

¹ - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الفكر، بيروت، ص 486 ص 487.

² - رودولف زلهام، الأمثال العربية القديمة، تر رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، ط3، 1984، بيروت، ص23.

³ - الفارابي، ديوان الأدب، تح أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع، 1974، مصر، ص229.

من المواضع بحسب السياق والدلالة المناسبتين لها نحو ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾¹ وأيضا ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾²، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾³.

دلت الأمثال هنا على أخذ العبرة والدرس الرباني للإنسان كي يتدبر في ملكوت الخالق ويتعظ ويعلم أن الله جل وعلى له الملك والقادر على كل أمر، تجدر الإشارة الى أنه صنعت مجموعة من المؤلفات في العصر الجاهلي تُعنى بالأمثال، إلا أنها فقدت من ذلك ما كان لعبيد بن شرية الجرهمي وعلاقة بن كرم الكلابي وصاحاب بن عياش العبدي، كما ألفت في القرن الثاني للهجرة كتب أخرى للأمثال وهي لأبو عمر بن العلاء (ت 145هـ) المفضل الضبي (ت 170هـ) يونس بن حبيب (ت 182 هـ)، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن كتاب المفضل الضبي قد بلغ شهرة واسعة، نتلمسها لغاية وقتنا الحالي وهو يحتوي على مائة وستين مثلا متبوعة بالقصص التي كانت في قولها، والكثير منها متصل بأيام العرب.

وتوالى التأليف من بعده فقد جاء لغويون مشهورون وضعوا كتباً في الأمثال ولكنها لم تصل إلينا، وهؤلاء هم النضرين شميل وأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد وأبو عمر والشيباني وأبو الحسن الحياتي وأبو عثمان سعدان بن المبارك، وإن كانت كتبهم قد ضاعت فإن أبا عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) جمع رواياتهم في كتابه الممتاز في الأمثال⁴.

إضافة إلى ذلك جمع ابن الأتباري في الربع الأول من القرن الرابع الهجري، مجموعة من الأمثال دونها في كتابه "الزاهر" تصل إلى ثمانمئة وأربع وثلاثين مثلا وقولاً موسعة شرحاً وتفصيلاً، بلغ هذا المؤلف مكانة هامة في بلاد الأندلس بوفوده على يد أبي علي القالي،

¹ - سورة الزمر، الآية [27].

² - سورة إبراهيم، الآية [25].

³ - سورة البقرة، الآية [26].

⁴ - أنظر محمد بنشريفه، جمع الأمثال عند القدماء، ندوة الأمثال العامية في المغرب تدوينها وتوظيفها العلمي والبيداغوجي 2001، مطبعة المعارف الجديدة، 2001، الرباط، ص 35.

وهناك كتاب آخر على قدر كبير من الأهمية وهو الدرّة الفاخرة لحمزة الأصفهاني، ثم كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت 400هـ) ويشمل على ثلاثة آلاف مثل مرتبة أبجدياً.

ليصل بعد ذلك الاهتمام بتدوين الأمثال مرحلة متقدمة في القرن الخامس الهجري مع الزمخشري والميداني، إذ أن كتاب المستقصى يضم ثلاثة آلاف وخمسمائة مثل، أما مجمع الأمثال للميداني حوى ستة آلاف مثل¹، من بعد ذلك بات العمل على جمع الأمثال متنوعاً بين الفصيحة والعامية على غرار ما قام به أبو الحسن علي بن الفضل الطالقاني في رسالة الأمثال البغدادية، والأمثال المولدة لأبي الفرج علي بن الحسن بن هندو والأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي، وأمثال العوام لأبي يحيى الزجاجي القرطبي، ونتجاوز فترات أخرى من الزمن الماضي، لنصل إلى مطلع القرن الثامن عشر، أين نجد كتاب الأمثال العامية المصرية لشرف بن أسد المصري الذي اشتمل على ألف مثل عامي مصري له أهمية كبرى بخاصة ترجمته إلى الألمانية على يد بورخات ثم إلى الإنجليزية، تجدر الإشارة هنا أن البحث في الأمثال فصيحتها وعاميتها توسع أكثر فأكثر بالجهود المبذولة من طرف مجموعة من المستشرقين نحو: الأمثال العامية الشامية للمستشرق السويدي كارلو لاندبرغ ثم طبعه في ليدن بهولندا سنة 1883، وكذا إعادة نشر كتاب الأمثال للميداني على يد المستشرق إدوارد بوكوك مع شرح مختصر باللاتينية.

أما العصر الحديث فقد طبعت مؤلفات عدة حول المثل كما هو الحال عند أحمد تيمور في كتابه الأمثال العامية، وأحمد أمين بكتابه قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، وفائقة حسين راغب بكتابتها حدائق الأمثال العامية.

¹ - أنظر: المرجع السابق، ص 36 ص 37 ص 38.

2- تعريف الأمثال الشعبية:

عرفها أحمد أمين بأنها « نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب »¹، فالأمثال منبثقة من كافة أطراف الشعب تداولوا ونورانا جميلا بعد جيل لقرنه منهم وتصوير واقعهم أبلغ وصف وأدق لفظ « الأمثال الشعبية هي تسجيل قول كلامي في جمل قصيرة لبعض ما مر بالإنسان من أحداث استخلص منها مآثر ومواعظ »².

تلخص الأمثال الشعبية التجارب الإنسانية في جملة قولية مختصرة، لكنها متضمنة لخبرات الآخرين بإيجابياتها وسلبياتها، يتفاعل معها الطبقات الاجتماعية المختلفة، ويحرصون على تداولها وتوارثها لأن فيها زاد لا ينضب من المعاني « تتميز الأمثال الشعبية بأنها مرآة الشعوب، تدل علا عقلية الشعب، وتعكس اتجاهاته وأخلاقه وتقاليده وحياته الاجتماعية »³.

ويعرف الباحث رودولف زلهائم الأمثال بأنها « عند كل الشعوب مرآة صافية لحياتها تنعكس عليها عادات تلك الشعوب وتقاليدها وعقائدها وسلوك أفرادها ومجتمعاتها، وهي ميزات دقيقة لتلك الشعوب في رقيها وانحطاطها وبؤسها ونعيمها وآدابها ولغاتها »⁴، وقد علقت الباحثة نبيلة إبراهيم على تعريف رودولف زلهائم قائلة « فالمثل إذن خلق فردي فيما يراه زايلر وهو ينتشر بين أفراد الشعب قبل تحويره وتهذيبه وقبل أن يتخذ شكله الأدبي الخاص به، على أن زايلر وإن كان على حق في مساهمة الفرد والجماعة في خلق العمل الأدبي

¹ - أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1953، القاهرة، ص 61.

² - رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية، المكتب الجامعي، 1933، مصر، ص 45.

³ - المرجع نفسه، ص 46.

⁴ - رودولف زلهائم، الأمثال العربية القديمة، تر رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، 1984، بيروت، ص 7.

الشعبي، فإن المثل - من وجهة نظرنا - لا يصبح مثلاً، ولا يصبح عبارة ذات أجنحة إلا في المرحلة الثانية لانتقاله، أي عندما يساهم الشعب في وضعه في قلبه الخاص¹.

3- خصائص المثل الشعبي: تتميز الأمثال الشعبية جملة من الخصائص أهمها:

- 1- الإيجاز: حيث كلمات قليلة تعبر عن التجربة الإنسانية.
- 2- إصابة المعنى بدقة.
- 3- البلاغة: ألفاظ الأمثال الشعبية موجزة مركزة.
- 4- الموسيقى: ذات جرس موسيقى وتواشيح لفظي ونغمي بارز.
- 5- ورود المثل الشعبي أحياناً في قالب قصصي نحو: ضحكت الشبكة على الغريال، قالت له: ما أوسع عُيُونِكَ يَا هِرْوَالَ.
- 6- التصوير الفني، باستخدام التشبيه أو الكناية أو الاستعارة أو المجاز نحو: شَارِي الْحُوْتُ فِي الْبَحْرِ.
- 7- مجهول المؤلف.
- 8- قصر العبارة وكثافة الدلالة.
- 9- يتألف المثل الشعبي أحياناً من جملتين متعارضتين مثل: أنا قلبي على الجمر وهو قلبه على التمر.

يمكن أن يصاغ في قالب شعري نحو قول الشاعر الشعبي عبد الرحمن المجذوب:

بُهْتُ النِّسَاءَ بِهَيْئِنُ مِنْ بُهْتِهِمْ جِيْتُ هَارِبُ
يَنْحَزِمُوا بِاللَّفَاعِ وَيَتَخَلَّلُوا بِالْعَقَارِبِ²

¹ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 33.

² - عبد الرحمن المجذوب، القول المأثور، تقديم وشرح نور الدين عبد القادر بن إبراهيم، مكتبة الوحدة العربية، د ط، د ت، المغرب، ص 97.

10- يمكن أن يرد المثل الشعبي بصيغة السؤال والجواب:

واش يغلب النار ؟ النار يغلبها الماء

واش يغلب الماء ؟ الماء تغلبه العقبة

واش يغلب العقبة ؟ العقبة تغلبها الخيل

واش يغلب الخيل ؟ الخيل يغلبوهم الفرسان

واش يغلب الفرسان ؟ الفرسان يغلبوهم نساھم

واش يغلب النساء ؟ النساء يغلبوهم أولادھم .

4- أهمية الأمثال الشعبية:

تتخذ الأمثال أهميتها الكبرى من كونها محصلة تجارب إنسانية واقعية عكس الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى التي يمتزج فيها الواقع مع المخيال الشعبي، فالأمثال ترصد التناقضات النفسية التي تعترى الإنسان في حالة الفقر والغنى مثلا في حالة الصحة والمرض، نحو الصحة بالصحة حبيبة مولاها، وأيضا: صِحْتِي صِحْتِي خَيْرٌ مِنْ يُمَا وَأُخْتِي؛ فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرف قيمتها إلا من يعاني آلام المرض وتبعاته النفسية والمادية.

كما أن الأمثال تمتاز بخاصية أو ميزة لا تتعدم في كافة الجمل المثلية وهي؛ ميزة الديمومة والاستمرارية لأنها صالحة لكل زمان ومكان، فعلى الرغم من أننا نحن نعيش اليوم عصر التكنولوجيا والثورة الرقمية، إلا أن الإنسان مازال يستعين في حديثه اليومي بجملة من الأمثال تعينه على إيصال الفكرة بأقصر السبل للمتلقي، لكونها تجسد تجربة غير متعلقة بشخص بعينه أو زمن محدد ومكان محدد، فهي مفتوحة الطرح تتوافق مع كل من حدثت له تجربة أو موقف شبيهه بالموقف الأصلي لصاحب المثل.

5- الأبعاد الدلالية للأمثال الشعبية:

تكتسي الأمثال الشعبية عدة دلالات مختلفة حسب السياق الذي وردت فيه والأنساق الثقافية المتشكلة لها، وعلى تنوع الأمثال الشعبية وتنوع آلياتها وموضوعاتها فدلالاتها تبعاً لذلك تتنوع وتتجدد بحسب آلية القراءة الموجهة إليها.

من بين تلك الدلالات نذكر مثلاً لا حصراً حتى ونستشف أثر تداول الأمثال الشعبية.

أ- الدلالة النفسية:

ترصد الأمثال الشعبية في كثير من المواضيع طبيعة الحياة النفسية الإنسانية، في مختلف وضعياتها وانعكاساتها على الفرد والمجتمع بعد ذلك من ذلك قولهم: الوجه يعطي أخباره، بمعنى أن الإنسان إذا كان في حال يسر وهناء فإن ملامح وجهه يُستدل بها على نعيم حياته والعكس صحيح، فالوجه مرآة صاحبه يخبر الآخر عن دواخله دون شرح أو تلقين فمجرد النظر إلى الشخصين نعلم إن كان حزينا أو سعيدا، سليما معافى أو مريضا بحسب السياق الذي هو وفيه ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾¹.

ب- الأبعاد الاجتماعية:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه يحيا في كنف النسق الاجتماعي ويتفاعل معه فهو جزء لا يتجزأ منه، والأمثال الشعبية لم تغفل دور الفرد والمجتمع والعلاقة التواصلية بينهما، ففي محطات كثيرة بنيت الأمثال الشعبية مسار العلاقات الاجتماعية وسبل إصلاحها أن حدث وأصابها خلل ما في مستوى الوظيفة والأداء والنتيجة مثلاً: اللي راح كبير والهم تدبير.

¹ - سورة آل عمران، الآية 106.

في ختام هذه المحاضرة نستنتج:

- المثل الشعبي محصلة تجارب وخبرات إنسانية سابقة.
- المثل الشعبي جملة قولية قصيرة شكلا عميقة دلالة.
- المثل الشعبي يعكس الحياة الاجتماعية بصورها المتناقضة.
- المثل الشعبي يرصد موقفا أو حدثا يبقى ماثلا أبدا.

1- اللغز الشعبي

يظهر اللغز الشعبي كشكل أدبي شعبي على قدر كبير من الأهمية ضمن باقي الأجناس الأخرى، ولا يزال يتداول بشكل ملحوظ داخل المجتمع فلا يقتصر تداوله على فئة دون الأخرى، لماله من خاصية تثقيفية وامتاعية في الآن ذاته، فما هو اللغز الشعبي ؟ وماهي عناصره الفنية ؟

أ- تعريف اللغز لغة: أورد ابن منظور تعريفا للغز في معجمه لسان العرب وهو « ألغز الكلام وألغز فيه، بمعنى مراده وأضمر على خلاف ما أظهره»¹، ويقول الزمخشري « لغز اليربوع حجرته وألغزها: حفرها ملتوية مشكلة على داخلها و لغز في حفرة وألغزه وحفره، ومن المجاز: ألغز كلامه: عماه ولم يبينه وألغز في كلامه ولغز وجاء بالألغاز في شعره»²، أي أن اللغز يقصد به أن يظهر القائل في كلامه عكس ما يبطن فلا يتضح المقصد من ذلك إلا بإعمال العقل لبيان الأمر وإيضاحه.

ب- اللغز الشعبي اصطلاحا: ذكر الباحث محمد المرزوقي في كتابه "الأدب الشعبي في تونس" أن اللغز الشعبي « نوع معقد تذكر فيه صفات المسؤول عنه البعيدة فيصعب حله إلا على من كان يمتلك ذكاء خاصا»³، بمعنى أن اللغز يعتمد فيه القائل على عدم إيضاح المعنى وإيراده بصورة مباشرة فيثير انتباه المتلقي ويستترعيه للبحث عن المعنى ليخفي وراء التمثهات اللغوية لرسالته، وبهذا يكون اللغز مقصدا لأعمال الفكر بالبحث عن الإجابة أو حل اللغز ويعرفه ابن حجة الحموي « هو أن يأتي المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف، ويأتي بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه»⁴، ويرى محمد

¹- ابن منظور، لسان العرب، مج 9، دار صادر، دط، دت، بيروت، مادة (ل.غ.ز)، ص522.

²- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1867، تونس، ص 42 ص 43.

³- الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 172.

⁴- ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأدب، ج2، شرح عصام شيعيتو، منشورات دار مكتبة الهلال، 1987، بيروت،

المرزوقي» أما الألغاز فهي هذه الكلمات المسجوعة أو المنظومة التي تلقي في المجالس العامة والخاصة، في قالب أسئلة يختبر بها الناس ذكاء بعضهم بعضاً، والقاعدة فيها أن يورد اللغز في شبه سؤال منظوم أو مسجوع عن شيء تذكر صفاته البعيدة أو القريبة ومن تلك الصفات يستطيع المسؤول بإعمال شيء من الفكر الاهتداء إلى موضوع السؤال¹، فاللغز يحمل معنى الإخفاء والإشكال والسؤال لا يمكن بأي حال من الأحوال، بيان تاريخ محدد لظهور اللغز الشعبي ظهور اللغز الشعبي لتأخر عملية التدوين في التاريخ الإنساني، ومع ذلك يقر مجموعة كبيرة من الباحثين والدارسين أن اللغز الشعبي قديم قدم الأسطورة، أي يعود بنا اللغز إلى الإنسان البدائي الذي كان كثير التأمل والاستغراب من الموجودات التي تحيط به فحاول قدر ما يملكه إيجاد تفسيرات وتعليقات وتصورات حولها، فكان اللغز أحد الوسائط التفكير والبحث في الماورائيات انطلاقاً من ثنائيات الخفاء والتجلي أو الوضوح والغموض.

فكما تقول الباحثة نبيلة إبراهيم في كتابها أشكال التعبير في الأدب الشعبي أن « اللغز في جوهره استعارة، والاستعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي في إدراك الترابط والمقارنة، وإدراك أوجه الشبه والاختلاف، على أن اللغز فضلاً عن ذلك يحتوي على عنصر الفكاهة التي تنجم عن احتواء اللغز لعنصر المفاجأة»²، فتطور تفكير الفرد جعله يصوغ كنوع من الذكاء والفتنة وقوة التركيز، لأن اللغز يحتاج إلى ذكاء وتركيز لمعرفة الحل وإلا لن يكون الأمر سهلاً أمام المتلقي.

فاللغز والأسطورة يتقاطعان في أنهما يمثلان باكورة التفكير البشري في ذلك الوقت وخصوصيتها وتفاعل إنسان اليوم معها، فالأساطير لا زالت تتداول بأشكال مختلفة متجسدة مادياً في الفنون الشعبية والتشكيلية وفي الأدب المعاصر العربي والغربي، واللغز كذلك مازال حاضراً داخل السواء الأعظم وفي مناسبات مختلفة بخاصته أنه يدعو إلى تنشيط العقل

¹ - محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، ص 42.

² - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ص 191.

وتحفيزه على التفكير أكثر فأكثر ويرى الباحث موريس فيلد¹ « أن اللغز نشأ منذ قديم الزمان حينما كان العقل البدائي يمرن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به، ذلك أنه كلما كانت الرؤية أكثر نظارة ازدادت الرغبة في إدراك ظواهر الطبيعة وظواهر الحياة وإدراك القوانين التي تحيط بالإنسان، ومن ثم فإننا نجد الأنواع الأدبية مثل الأسطورة والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية تتضمن الألغاز »¹.

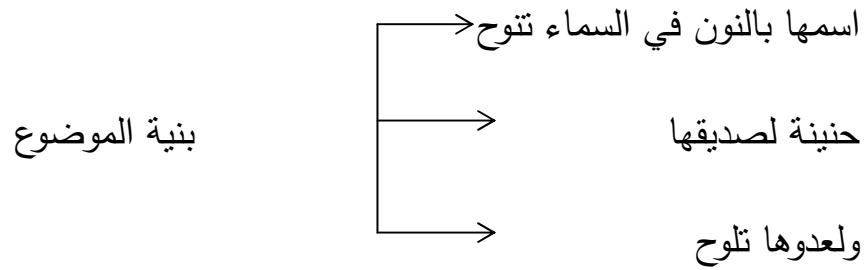
لذا ينظر دائما للغز على أنه نتيجة الإدراك المعمق للظواهر الكونية أي أنه يمتاز بنظرة استنباطية للأمور وقدرة على الاختزالوالاختزان فكل لفظة داخل جملة اللغز لها دلالات مترابطة مع المرئي واللامرئي وعلى الفرد أن يمتاز لسرعة البديهية والليقظة العقلية كي يعقد الصلات بين الظاهر والباطن فيتحصل على الحل كمكافأة على نكاهه وحكمته وخبرته، ومن أشهر الألغاز نجد الألغاز التي طرحتها بلقيس ملكة سبأ على النبي سليمان « ما معنى أن سبعة وجدوا مخرجا وتسعة وجدوا مدخلا واثنين أنساب منهما مجرى وواحدا شرب من هذا المجرى ؟ فأجاب سليمان على التو أما السبعة فهم سبعة أيام الحيض، وأما التسعة فهو تسعة شهورا الحمل، وأما الاثنان فهما الثدييات وأما الواحد فهو الطفل »²، فاللغز عن الذكاء والحكمة والبصيرة السديدة، ونجد أيضا اللغز المشهور في أسطورة «أوديب» فالأسطورة تروي أن أوديب قبل دخوله للملكة موطنه وأعترض طريقه وحش يطالبه بحل اللغز وتكون المكافأة الزواج من الملكة والحصول على العرش وإن فشل في ذلك فسيكون مصيره الموت صيغ اللغز على النحو الآتي: ما الكائن الذي يمشي في الصباح على أربعة أرجل، في الظهيرة على رجلين وفي المساء على ثلاث أرجل فأجاب أوديب إنه الإنسان، وبذلك حل اللغز وأنقذ أهل مدينته من شر ذلك المخلوق المتوحش، فأصبح ملكا مبعجلا على المملكة وتزوج الملكة التي هي في الأصل أمه.

¹ - المرجع السابق، ص192.

² - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص194.

2-بنية اللغز: ككل شكل أدبي يتكون من بنية خاصة تحدده وتضبط أصوله لتضع له حدودا مع باقي الأجناس الأدبية الأخرى، واللغز الشعبي على غرار بقية الأشكال الأدبية الشعبية يتكون من عناصر أساسية من حيث المعمارية وهي: البنية الاستهلالية، بنية الموضوع، بنية السؤال، بنية الجواب نحو: حاجيتك على اللي اسمها بالنون في السماء تتوخ، حنينة لصديقها ولعدوها تلوخ، واش هي؟

حاجيتك ⇐ البنية الاستهلالية



واش هي ⇨ بنية السؤال

الخنلة ⇨ بنية الجواب .

وترى الباحثة نبيلة إبراهيم أن اللغز يتكون من خمسة أجزاء من الناحية الفنية وهي:

1/ الاستعارة والمجاز المطر

2/ العنصر الثابت بينهما الرذاذ الذي ينزل في شكل المطر

3/ العنصر المتغير بينهما التل الذي يعلو

4/ الصورة الكلية المطر تنزل والتل يعلو

5/ الإجابة الدقيق الذي ينزل

⇐ المطرة تمطر والتل بيعلى¹.

3- خصائص اللغز الشعبي

- التداول الشفوي والتوارث جيلا بعد جيل .
- مجهول المؤلف.
- ألفاظ بسيطة وسهلة التداول.
- المزج بين المعنى الظاهر والخفي.
- يردأحيانا في قالب سردي نحو: قالك واحد السيد.
- قصر العبارة والايجاز.
- حسن التشبيه ودقة التصوير.
- تناسب الايقاع الداخلي الخفيف بين الألفاظ والجمل.
- إصابة المعنى والتركيز على أوصافه.
- اشاعة جو بهيج وضحك بين المتبارين والمتسامرين معهم في نفس الوقت.

4- وظائف اللغز الشعبي:

ينطوي اللغز الشعبي على جملة من الوظائف الهامة التي تتفاعل فيما بينها تفاعلا نسبيا لا يمكن إنكاره، نظرا لحيويته المتواصلة جيلا بعد جيل منذ الإنسان البدائي وتعاقب الحضارات التي جعلت اللغز طقسا هاما، فمثلا الحضارة الصينية حوالي عام 2500 ق.م، احتفت بفن الألغاز من خلال المربعات السحرية التي تملأ بالأرقام ويكون المجموع الأفقي والعمودي لنفسه، والفراعنة تمثل اللغز في أهراماتهم وقبورهم السحرية وتحنيطهم للمومياء كما اعتبرت بعض الحضارات الإنسانية مصدرا للخصب والجذب ففي إحدى قبائل الهند الصينية «تجتمع قبل موسم حصاد الأرز وي طرح بعض الأفراد الألغاز لحلها، وعند حل كل لغز يصيح

¹- نبيلة أبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 210.

الجميع " دع أرزنا ينمو في الجبال والسهول " على أنه يمتنع طرح الألغاز للحل في الفترة بين انتهاء موسم الحصاد وميعاد الزرع الثاني¹، أي أن اللغز مكانة خاصة في حياة الأفراد والشعوب.

أ- **وظيفة عقلية:** يقوم اللغز على وجود الذكاء والفتنة صاحبي الرسالة المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يكون ذكيا بصورة واضحة تمكنه من الجمع بين الخفي والظاهر في القول، واختيار ألفاظ دون غيرها عند توجيه نص اللغز فلا يكون هناك مجال للشك في نفس المتلقي.

فاللغز ينشط الذهن بتوسيع أفاق التفكير وتطوير المدركات العقلية نحو علم من لعلام، نوار لظلام، النطق ما ينطقشي وهو ملبان كلام، الحل = الكتاب، فعلى المستمع الممتحن أن يقوم بالتركيز الجيد على عناصر اللغز ومحاولة كشف العلاقات الخفية والظاهرة لإيجاد حل اللغز والتثبت من صحته بتجميع العناصر السابقة ككل، واللغز لا يعبر عن ذكاء الممتحن فقط بل ذكاء المرسل أيضا، الذي استطاع تركيب أجزاء اللغز وإخراجها في تلك الصورة ، فيكون بذلك انتصار ذكاء الأثنين وبيان مقدرتهما على فهم الأشياء وسرعة البديهة والعقل المتقدم.

ب- **وظيفة تربوية:** تبعث الألغاز الشعبية برسائل تربوية مشفرة في ذهن المستمعين إليها، إذ توضع بعض المفاهيم الاجتماعية وترسخ القيم الأخلاقية الحميدة، كما ترفض وتمج الأخلاق الخبيثة، على أساس أن الفرد كل متكامل مع أبناء جلدته يتفاعل معهم ضمن علاقات اجتماعية معقدة أو بسيطة، من تلك الألغاز على سبيل المثال لا الحصر: أسمها بالصاد وللصاد بالك تخون، يا سعد من أدها تغسل بلا صابون، وعلى الجبين أبيان ضواها،

¹ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 192.

الحل: الصلاة، وكذلك طاهر ومطهر وزين البنيان، لعمار عامر وما فيه سكان، الحل = المسجد، حاكمنا متعلي بأنواره، عنده 114 جوهرة و 60 نواره، الحل = القرآن الكريم.

إلى غيرها من القيم التربوية التي تقدم بأسلوب بسيط ولكن يحتاج إلى ذكاء للوصول إلى تلك المضامين التربوية.

ج- **وظيفة اجتماعية:** كما هو معلوم أن الألغاز الشعبية يتم إيرادها في مناسبات خاصة حتى يتحقق الهدف المرجو منها، فسبقاً كانت تقال في سهرات الأعراس وسهرات رمضان أو عند التقاء الأحبة في تجمعات اجتماعية مفرحة، فالألغاز الشعبية تقوم بدعم الروابط الأسرية والاجتماعية من خلال التجمع أمام المرسل والإنصات لما يقول، ومحاولة الفوز عليه لإثبات الذكاء والاعتماد بالذات في جوتنا فسيح بهيج نحو : تدور من قصر لقصر، وتروح لسوريا ومصر، الحل = الرسالة .

د- **وظيفة نفسية:** تتحدد هذه الوظيفة من خلال قطبي الرسالة اللغوية وهما المرسل والمرسل إليه : فالمرسل يفتخر بقدرته على تركيب الألغاز تعقيدها على ذهن المرسل إليه وكذا قدرته المتجددة في محاولة إبداع وتركيب ألغاز جديدة متنوعة المضامين.

2/ النكتة الشعبية:

تنتشر النكتة الشعبية في سرعة خاطفة داخل طبقات المجتمع المختلفة، وتتخذ لها مكانة خاصة لدى الناس، لأسلوبها السلس وتأثيراتها النفسية المتباينة، فما هي النكتة الشعبية وما هي خصائصها ؟

أ-تعريف النكت الشعبية:

تعرف النكتة الشعبية على أنها « فن شعبي يحتوي في طياته على أفكار الشعب ومعتقداته وأراءه ونظراته الاجتماعية والخلقية والفلسفية »¹، تلخص النكتة الشعبية تصورات الشعب حول موضوع ما أو ظاهرة أو شخص ما، فنقوم بالسخرية والنقد الاذع بأسلوب بسيط سلس يبعث على البهجة والفرح ويخفي أبعادا اجتماعية وسياسية ونفسية داخل النكتة، ونجد لها مسميات عدة في الأدب الفصيح نحو النادرة الطرفة هذه الأخيرة تعرضها الباحثة نبيلة إبراهيم قائلة « الطرفة مرح ذهني وهي في الوقت نفسه تخفف من حدة التوتر النفسي لدى القائل والسامع معا، أي أنها قول مرح في مرح »².

يعتمد قائل النكت على اليقظة الفكرية إذ يجمع بين المتناقضات لإشاعة الضحك، أو تركيب حادثة أو تجربة في قالب هزلي أو يمكن نقد موقف ما نقدا لاذعا متخفيا وراء جمل مفرحة بهيجة، فتصل الرسالة إلى المتلقي بسهولة وبخفة التفاعل البهيج معها، وتقدم النكتة الشعبية شخوصها ضمن نمطين سلبي وإيجابي نحو العقلاء، الحكماء، القضاة في الصورة الإيجابية أما السلبية فتظهر في البخلاء الحمقى المجانين اللصوص.

وتكون المفارقة بين النمطين أساسا بارزا في إشاعة جو الهزل والمرح، والملاحظ في النكت الشعبية أنه يمكن معرفة البعدين الزماني والمكاني فهي في كثير من المرات تحكي عن شخص في فترة معينة أو بيئة اجتماعية محددة كذلك فكلنا يتذكر النكت الشعبية التي قلبت عن أشعب وعن جحا وعن شخصية الرئيس الشاذلي بن جديد وعن شخصيات أخرى، مثلا :
قَالَكَ مَا لَا وَاحِدَ الْكَارِ مَعْدِي فِي الطَّرِيقِ حَكْمُوا فُؤَبَارَاجَ دَارُوهُ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ تَاعِ الْإِرْهَابِ،
بداو يهبطوا في الناس وَيُسْفِسُوهُمْ عَلَى أَسَامِيهِمْ، اللي يلقاوا اسموا بالدين يسيبوه، واحد قالهم

¹ - طلال حرب، أولية النص " نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999، بيروت، ص 157.

² - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 222.

شِمْسُ الدِّينِ الثَّانِي سَيْفُ الدِّينِ الثَّالِثُ بَهَاءُ الدِّينِحتى وصلوا للآخر واحذفهم من الخلعة والخوف نسي الأسامي، سقسوه قالهم كروكودين ههههههههه.

ولأن النكت تتميز بالضحك والموقف الهزلي فذلك ما يجعلها تريح القائل و تبهج المستمع في الآن ذاته «إن في الفكاهة راحة للنفوس إذا تعبت وكتلت، ونشاط للخواطر إذا سئمت وملت، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال، بل ترتاح إلى تنقل الأحوال، فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان ولاطفتها بالفكاهات عادت إلى العمل الجاد، ببسطة وراحة في طلب العلوم مديرة»¹.

والضحك يبعث على الراحة والفرح والسلام الداخلي، ونورد تصور عباس محمود العقاد حول الضحك إذ قال « إن أجمل ما نحن كاسبوه من تسليط الضحك على الطبائع هو أن ننهبها الى النقص تنبيهه عطف ورعاية وأن ننظر منها الجد في معالجتها بما يقع في الطاقة ويرجى منه التحسن في ناحية أخرى من النفس وإن لم يكن ذلك ميسورا في الناحية المضحوك منها، فقلها طلب الكمال إنسان ورجع منه بغير نتيجة مرضية في الباب الذي طلبه أو في باب سواه»²، أي أن الضحك دعامة أساسية في النكت ومن دونها تكتمل أو لا يمكن اعتبارها نكتة، والتي تتداول وتتوارث جيلا عن جيل مثل بقية أجناس التعبير الشعبية، ويمكن استغلالها في مواقف حياته مختلفة مثل ما ذكره الباحث زكريا إبراهيم في كتابه "سيكولوجية الفكاهة والضحك" « يقول أحد الأطباء النفسانيين أن سيدة عقيما كانت تتردد على عيادته، وكانت لفرط بأسها وقتنوطها قاب قوسين أو أدنى من المرضى العقلي، ولم ينجح الطبيب في علاجها عن طريق التحليل النفسي، فاتفق معها على أن تروي له قصة مضحكة كلما جاءته للزيارة، وكان تنفيذ هذه الخطة عسيرا في البداية، ولكن السيدة أخذت تجد فيها رويدا شيئا من اللذة، وقبل أن ينتهي علاج تلك

¹ - ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر أحمد رشدي صالح، دار الكتاب العربي، دت، مصر، ص 94.

² - عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، مكتبة النهضة، ط2، دت، مصر، ص 149.

المرأة على هذه الطريقة كانت المريضة قد ولعت بجمع الحكايات وبرعت في روايتها، وهكذا ردت الفكاهة إليها بشاشتها وسعادتها»¹.

فالضحك يتجمع به طاقة حيوية زائدة، تشعر الإنسان بالتححرر من مصاعبة اليومية ومن ضغوطات الحياة، فيزيل الانقباض النفسي ويغير مجرى التفكير من التشاؤم إلى التفاؤل، ويمنع حدوث الكآبة والملل لتحدث بذلك الراحة النفسية والعقلية والجسدية من أشهر النكت الأدبية ما ضمنه ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد « أن الحجاج ضرب أعرابيا سبعمائة سوط، وهو يقول عند كل سوط شكرا لك يارب، فلقية أشعب فقال له: أتدري لما ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟ قال: ما أدري، قال لكثرة شركك، أما علمت أن الله تعالى يقول ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾².

كما أن النكتة الشعبية ليست سهلة الإنشاد إذ تحتاج فضل من الذكاء ودقة في الحس ورهافة في الذوق والشعور والعب بالألفاظ.

ب/ أنواع النكت الشعبية: تتنوع النكت الشعبية تبعا لتنوع موضوعاتها وسنجمها في الأشكال الآتية وهي:

ب-1- النكت الاجتماعية: وتشتأثر في هذا النوع من النكت النقد الاذع لظاهرة اجتماعية ما، بالسخرية منها والتقليل من قيمتها فقائل النكتة يعرض موقفه أو تصوره حول تلك الظاهرة بأسلوب هزلي في المقام الأول ثم من خلال التعمق في ألفاظ النكتة يتم تبصر الموقف أو المغزى المراد منها، مثل:

ب-2- النكت السياسية: ويمتاز هذا النوع بشدة التركيز على اختيار المفردات والعبارات الدالة على المقصد المخفي من وراء النكتة، فهي تسخر بشكل مباشر أو غير مباشر من

¹ - زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، مكتبة مصر، دت، مصر، ص 108.

² - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982، ص322.

قضية سياسية تكون محط جدل ونقاش بين الناس لتأثيراتها الإيجابية أو السلبية وفي أحيان كثيرة السلبية، لذا تقوم النكتة بعرض نقد لاذع والتعبير عنه بمفارقة تصويرية للوضع السياسي، على أمل أن يكون العكس هو السائد نحو:

3-ب- النكت الاقتصادية: يعني هذا النوع بالأمور والمواضيع الاقتصادية التي تهتم الفرد والمجتمع من بطالة أو غلاء الأسعار أو المنتجات الاقتصادية وحتى السياسات الاقتصادية، ترصد الظاهرة بدقة وتعلق عليها في قالب هزلي.

4-ب- النكتة الجنسية: تنطلق هذه النكتة من الممنوع قوله أو فعله أو الطابوهات الجنسية فتطلق العنان للخيالات الجنسية والتصورات حولها، على اعتبار أن كل ممنوع مرغوب _ فتصور مشهدا جنسيا أو تتضمن عبارات جنسية يرغب في سماعها المتلقي تكون مصاحبة لروح الدعابة والفكاهة كي تخرج من إطارها التقريري أو المادي.

ج-خصائص النكتة الشعبية:

- الإيجاز تكون جملة أو بضع جمل قصيرة جدا .
- وجود مرسل ومرسل إليه ، عملية التواصل تكون مباشرة .
- تعتمد إلى النقد الاذع أو السخرية من شخص ما أو موضوع ما .
- تصاحبها الإشارات الجسدية في بعض الأحيان .
- سهولة الألفاظ وبساطة التعبير .
- تختص بطابع الفكاهة والإمتاع .

خاتمة :

نفهم مما سبق ايراده في موضوعي اللغز الشعبي والنكتة الشعبية أن كلاهما جنسان أدبيان شعبيان يمتازان بالبساطة والتعقيد في الآن ذاته، ويقدر مايشيعان من المرح والتسلية بقدر ما ينطويان على أبعاد ودلالات تستشف من خلال التبصير الجيد في القول الشعبي.

شكلت رواية أخبار الأولين ملمحا خاصا في الحياة الإنسانية، منذ أزمان بعيدة إلى غاية وقتنا الحاضر، فتلك الأخبار حملت تاريخ البشرية في جوانب عدة نحو: العقائدي، النفسي، الاجتماعي وكل ماله علاقة بالحياة الإنسانية، وذلك الشكل الأدبي يُطلق عليه مصطلح الأسطورة، التي كانت ولازلت تحظى بأهمية بالغة في الدراسات الأدبية القديمة والمعاصرة، فهي مرتبطة بكافة أطراف المجتمعات الإنسانية، كما أنها تثري الأدباء بالمضامين والفنيات الخاصة.

فما هي الأسطورة؟ ومما تستمد حضورها الفعال؟ وكيف تضمن لنفسها ديمومة واستمرارية تشكيلها في المدونات الأدبية الشعرية والنثرية؟

1. الأسطورة لغة واصطلاحا:

1.1 لغة:

الأسطورة هي كل ما وضعه الأولين من أخبار وأحاديث لا نظام لها، أساسها التخيل وعدم الصحة، وقد وردت في القرآن الكريم في مواضيع كثيرة نحو:

- ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾¹.
- ﴿وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾².
- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾³.

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾¹.

¹ - سورة المؤمنون، الآية 83.

² - سورة الفرقان، الآية 25.

³ - سورة الأنعام، الآية 25.

الملاحظ في الآيات السابقة أن لفظة الأسطورة وردت مقترنة بلفظة الأولين لتدليل على أخبار الأقسام السابقة أي أنها تشمل حوادث الأمم البائدة فجاءت بصيغة الجمع، وبالنسبة للمعاجم والقواميس العربية فقد قال عنها ابن منظور بأنها «الأساطير الأباطيل، والأساطير لا نظام لها، واحدها أسطار وإسطارة بالكسرة (...) وأسطورة وأسطورة بالضم (...)» يُقال سَطَرَ فلان علينا يَسْطِرُ إذ جاء بأحاديث الباطل، يقال: هو يسطر ما لا أصل له أي يُؤلفُ»².

وقد فسرها الزمخشري في كشفه بالخرافات والأكاذيب، وجاء في كتاب العين «يقال سطر فلان علينا تسطيرا إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل والواحد من الأساطير أسطارة وأسطورة وهي أحاديث لا نظام لها شيء»³.

على اختلاف المعاجم وتنوعها حول تحديد تعريف للأسطورة إلا أنها حملت دلالات نحو: الأحاديث التي لا أصل لها الباطل - أخبار الأمم السابقة - أما المقابل الأجنبي لمصطلح الأسطورة MYTHE وهو مأخوذ من الأصل الإغريقي Mythos وتعني الكلمة، لتأخذ فيما بعد معنى «الحكايات التي تختص بالآلهة وأفعالهم ومغامراتهم»⁴.

يتضح من خلال ما تم عرضه أن الأسطورة لغة يقصد بها حكايات وأخبار الأولين، التي لا صدق فيها ولا تقبل الحدوث على أرض الواقع.

2.1- الأسطورة اصطلاحاً:

عُرفت الأسطورة بأنها حكاية مقدسة تروى مغامرات الآلهة أو أنصافها أفعالاً وأقوالاً في تاريخ الزمن الماضي، قال عنها الباحث ا.س. هورنبي A.S.Hornby بأنها «قصة مستعملة من العصور السالفة، وبخاصة التي تجسد المفاهيم والمعتقدات حول التاريخ البدائي

¹ - سورة النحل، الآية 24.

² - ابن منظور، لسان العرب المحيط، مج4، دار صادر، دط، دت، بيروت، مادة (س، ط، ر)، ص78.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج5، سلسلة المعاجم، ص122.

⁴ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، ص18.

للجنس أو العرق، وهي تعلل الحوادث الطبيعية المهمة كالفصول أو المواسم»¹، فالأسطورة تقوم على الحكى أي الإخبار عن ما مضى من أحداث الأمم السابقة، تسرد المعتقدات والقيم الدينية لتلك الجماعات البشرية «الأسطورة قصة خرافية يسودها الخيال، وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة، ويبنى عليها الأدب الشعبي، تستخدم في عرض مُدَّهَب أو فكرة عرضاً شعرياً قصصياً (...) والأسطورة بهذين المعنيين سرد لا تتفق عناصره مع الحقيقة الملموسة، إلا أنها محاولة لتفسير النظم الكونية كما تبدو وللإنسانية»².

يلعب الخيال دوراً بارزاً في صياغة نص الأسطورة، إذ تتكفل القوى الغيبية في تنظيم شؤون الكون وحياة الإنسان فيه، وترد إما في قالب نثري أو شعري بحسب الغرض منها، وهناك من اعتبر الأسطورة بأنها «سرد قصصي مستو للأحداث التاريخية تعمد إليه المخيلة الشعبية، فتبتدع الحكايات الدينية والقومية والفلسفية لتثير انتباه الجمهور، والأسطورة تعتمد عادة تقاليد العامة وأحاديثهم وحكاياتهم، فتتخذ منها عنصراً أولياً ينمو مع الزمن بإضافات جديدة حسب الرواة والبلدان فتصبح غنية بالأخيلة والأحداث والعقد»³، يتضح من هذه المقولة أن الأسطورة تقوم بعرض أحداث تاريخية مشوهة، والقصد من هذا التشويه أن المخيلة الشعبية تعطي تفسيرات خيالية غيبية لبعض الظواهر الطبيعية وحتى العلاقات الإنسانية والمواقف الحياتية، قصد لفت انتباه جمهور هذا النوع من سرد -الأسطورة- كما أنها تنتشر بسرعة داخل أطياف المجتمع لما تلبيه من رغبة لديهم في اكتشاف الأمور غير الطبيعية أي الغيبية.

¹ - محمد عبد الرحمن يونس، الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها، دارالألمعية للنشر والتوزيع، 2014، الجزائر، ص 25.

² - مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، 1979، بيروت، ص 21.

³ - عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، 1979، بيروت، ص 19.

وهناك من يرى بأنها تروي تاريخا مقدسا كما فيما عرضه الباحث عبد الحميد يونس في هذا الصدد قائلا «الأسطورة تروي تاريخا مقدسا، وتسرد حدثا وقع في عصور ممعنة في القدم، تروي عصورا خرافية تستوعب بداية الخليقة، أو بعبارة أخرى الأسطورة تحكي بوساطة أعمال كائنات خارجة كيف برزت إلى الوجود حقيقة واقعة (...) قد تكون كل الحقيقة أو كل الواقع مثل الكون أو العالم (...) وقد تكون جانبا من الحقيقة مثل جزيرة من الجزر، أو فصيلة من النباتات أو حزب من السلوك الإنساني أو منظمة اجتماعية (...) والأسطورة بهذا المعنى قصته وجود ما، فهي تروي كيف تنشأ هذا الشيء أو ذلك، وهي ترتبط بالواقع في أولوياته وأبطالها كائنات خارقة يعرفون بما حققوا في عصور التكوين»¹.

يرى الباحث عبد الحميد يونس أن الأسطورة تكشف لنا عن تصور الإنسان لوقائع حياتية بسيطة ومعقدة، بداية من تكوين الكون بكافة مظاهره المادية الوجودية، إلى غير ذلك من الممارسات الإنسانية في إطارها الضيق أو الواسع، فالباحث يؤكد على أن الأسطورة هي "قصة وجود ما" كان هذا الوجود فهي تعمد إلى تفسيره وتقريبه إلى الأذهان، متوسلة بالسرد في ذلك بخاصة أن الأحداث التي ترويها هي واقعية نحو خلق الكون، إلا أنها تمثل جانبا واحدا من الواقع، أما الباقي فتضيف عليه من المخيلة الشعبية وهذا المعنى اتخذه الباحث دي روجمون De. Rougement في كتابه " الحب والغرب " « يمكن أن تقول بصفة عامة، إن الأسطورة قصة أو حكاية رمزية بسيطة ومؤثرة، تلخص عددا لا ينتهي من الموافق المتشابهة قليلا أو كثيرا أو بالمعنى الضيق للكلمة، تترجم الأسطورة قواعد

¹ - عبد الحميد يونس، الحكايات الشعبية، دار الكتاب العربي، 1968، القاهرة، ص19.

السلوك عند جماعة اجتماعية أو دينية بعينها وتنتمي بالتالي إلى العصر المقدس الذي تكونت حوله هذه الجماعة»¹.

يرى دي روجمون أن الأسطورة تجمع داخلها مجموعة من المواقف الحياتية التي يتعرض لها الإنسان، سواء في علاقاته الخاصة أو العامة، وكذلك ضمن المجموعات أو الأقليات التي تضع أطرا تحكم سلوكياتها وممارستها، لذا نجد أن الأسطورة ضارية في القدم تعود إلى الزمن الأول العصر المقدس، ما يجعلها تحظى بالتقدير والتقدير من طرف الجماعات والأفراد الذين يعتنقونها.

فعدت بذلك الأسطورة « حكايات أو تقاليد تحاول تفسير منزلة الإنسان في الكون وطبيعة المجتمع، والعلاقات القائمة بين الفرد والعالم الذي يدركه ومعنى الأحداث في الطبيعة»²، وتُعرف أيضا على أنها «قصة رمزية تحمل في بنيتها العميقة خلاصة تجربة الشعوب الفكرية على المستوى الديني والنفسي والاجتماعي والأنثروبولوجي»³، يتضح أن الأسطورة سرد يعرض أحداث ومواقف إنسانية فردية وأخرى جماعية، وتعطي تفسيرات حول الكون وكيفية تكوينه، لذا تصف أخبار الأولين عن الزمن المقدس والأبعاد الرمزية له ولأحداثه، ودورها في ترسيخ قيم ومبادئ تلخص تجارب الشعوب على المستوى الديني والنفسي والاجتماعي، ويمكننا القول بأن الأسطورة أيضا هي « خلاصة تجارب حضارية متعددة

¹ - سامية أسعد، الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر، مجلة الفكر، وزارة الإعلام، مجلد 16، ع 3، 1985، الكويت، ص 109.

² - ماجد فخري وآخرون، موسوعة بهجة المعرفة الإنسان والمجتمع، الشركة العامة للنشر والتوزيع، 1979، ليبيا، ص 82.

³ - محمد عبد الرحمن يونس، الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها، دار الألفية، 2014، الجزائر، ص 39.

وحصيلة أجيال متتالية، وهي جوهر تفكير وتأمل طويلين عبر عصور متلاحقة، وهي أيضا رمز يقلبه الناس منذ أزمان بعيدة»¹.

الأسطورة تتجاوز السرد العادي للأحداث إلى تقديم رؤى وأفكار الجماعات التي أنتجت تلك النصوص السردية وفق مخيلة شعبية، تمزج بين المواقف الحياتية الواقعية وبين عالم الخوارق، يتم استدعاء ممارسات خرافية في قالب فني تستسيغه العقول وتعتقد بوجود عالم الخوارق أو عالم الآلهة وأيضا «إن أدراكنا للأسطورة يحتم علينا دائما نتمرس بالنظرة الاستبطانية للأشياء...وتعيننا على إدراك الوجود إدراكا تأمليا ميتافيزيقيا، ولهذا ترى الفلسفة أن كل ما تحمله الأسطورة من صور ورموز، إنما لابد أن تحتوي معنى فلسفيا عميقا، فإذا كانت الأسطورة تخفي هذا المعنى وتطويه فمهمة الفلسفة هنا أن ترفع الغطاء عن كل ما هو مستتر وأن تقوم بعملية تفسير لهذا الرموز»².

يُفهم من القول أن الأسطورة عملية إدراكها تستوجب وعي خاص بطبيعتها وعناصرها، فمن ناحية البحث الفلسفي وجد أن الأسطورة فيها تفسير لتطور العقل البشري وبحثه عن المعرفة والتي قال عنها أوجست كونت بأن المعرفة تنقسم الى ثلاثة أقسام وهي:

1- المرحلة اللاهوتية **théologique**: وهي المرحلة التي كان فيها الإنسان يفكر بطريقة غيبية، حيث يعتقد أن الطبيعة تشير وفق أهواء ورغبات قوى تفوق الطبيعة، وهي خفية «لقد كانت المفاهيم والمعاني اللاهوتية أساسا متينا ومشاركا للحياة الأخلاقية والاجتماعية، وكانت من جهة أخرى هذه المرحلة هي مرحلة السلطة، سلطة الكهنة

¹- أحمد عثمان، على هامش الأسطورة الاغريقية في شعر السياب، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد 3، 4، يوليو، سبتمبر، 1983، مصر، ص 37.

²- أسعد عبد الوهاب، الأسطورة والدراما، المطبعة الفنية الحديثة، 1966، القاهرة، ص 9.

والملوك»¹، لذلك يرى كونت أنه من الطبيعي أن هذه البداية في التفكير الإنساني قد بدأت بأوهام فوق الطبيعة.

2- المرحلة الميتافيزيقية: **thetaphysique** حصل فيها تطور هام بالنسبة للمرحلة السابقة حيث تم الانتقال من التفكير بطريقة غيبية تعتمد على اللاهوت إلى التفكير بطريقة تأملية مجزؤه تعتمد على العقل، فقد كف العقل البشري عن تفسير الظواهر بظواهر بقوى خارقة مفارقة لها « ميزة هذه الحركية أو الاندفاع نحو التفكير الوضعي إن فهمنا المضطر إلى أن تسير ببطء درجة فدرجة، فلا تستطيع أن تنمو بطريقة فجائية ودون وساطة من الفلسفة اللاهوتية الى الفلسفة الوضعية»²، ويؤكد كونت أنه « لا يوجد تضامن تاريخي أو اعتقادي بين الفلسفة الوضعية، وبين هذه الفلسفة ولهذا فهو يعتبر الفلسفة الميتافيزيقية آخر صور تشكلت بها الفلسفة اللاهوتية»³، بمعنى أن المرحلة الميتافيزيقية هي حل وسطي بين التفكير الغيبي والتفكير المجرد الخاضع لقوانين العقل ولا يوجد قطيعة بينهما بل أن الأولى تصب في الثانية وتتشكلان معا من جديد «المرحلة الميتافيزيقية ليست سوى تغير بسيط عام للمرحلة الأولى، فإن المحرضان فوق الطبيعة، تستبدل بقوى مجردة أي بكائنات حقيقية موجودة في الكائنات المتعددة في العالم»⁴.

3- المرحلة الوضعية **tétatpasitif**: هي المرحلة التي عرف فيها العقل الإنساني مرحلة نضج واضح، حيث طرح الطرق القديمة في تفسيره للظواهر، وبدأ بتفسيرها تفسيراً طبيعياً علمياً يقوم على الملاحظة والتجربة مسترشداً في ذلك بالعقل المرتبط بما هو عيني ومحسوس «ففي المرحلة الوضعية فإن الذهن الإنساني يتعرف على استحالة الحصول على مفاهيم مطلقة، فيتخلى عن البحث عن أصل ومصير العالم وذلك كبذل مجهود في

¹ - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط 3، دار المعارف، دت، مصر، ص 318.

² - بيار ماشيرى، كونت الفلسفة والعلوم، تر سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1985، لبنان، ص 195.

³ - بيرل ليفي، فلسفة كونت، تر محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، دت، مصر، 98.

⁴ - المرجع نفسه، ص 75.

اكتشاف بالاعتماد على الاستدلال والملاحظة في قوانينها الفاعلة أي علاقاتها الثابتة»¹، فهذه المرحلة هي التي سمحت لنا بتحديد القوانين المتحركة بخضوع الطبيعة للحتمية، فإذا عرفنا شروطها نستطيع التأثير على الظواهر أو التنبؤ بما سيطرأ عليها.

2* أنواع الأسطورة:

بالبحث في موضوع الأسطورة نجد أن لها أنواعا خاصة تميز كل نوع عن الآخر، وتختص بعناصر دون الأخرى، والأسطورة من حيث معطياتها إلى أنواع أهمها:

أ* الأسطورة الكونية: يهتم هذا النوع من الأسطورة برصد مظاهر الكون، وكيفية بناء بكل موجوداته المادية والمعنوية، نتحدث فيه عن الأحداث والمواقف التي تشكلت هذا العالم ومنحت الإنسان وجودا خاصا بها تبعا لرغبة الآلهة، ويكشف هذا النوع من الأسطورة عن تصورات الإنسان البدائي حول الكون وخلقه ويقينه بقدرة الآلهة على الخلق والتكوين، فكما أشارت الباحثة نبيلة إبراهيم في معرض حديثها عن الأسطورة بصفة عامة والكونية بصفة خاصة «... وعلى هذا فإن الأسطورة الكونية- شأنها الفلسفة- تتكون في أولى مراحلها عن طريق التأمل في ظواهر الكون المتعددة»².

بمعنى أن الإنسان الأول شاهد المتغيرات التي تحدث من حوله وصاغ حكايات وأخبار تروي أحداث خلق الكون، قصد أيجاد تفسيرات لماهية الوجود، فالإنسان تأمل واستفسر وتساءل من بعد ذلك انطلق في مغامرة البحث عن أجوبة تعد نفسه بها « فإذا تساءل الإنسان طلب الإجابة في إصرار عن سؤاله، حتى إذا وجد الجواب عن سؤاله، قرت نفسه، لأن الإجابة حينئذ تكون حاسمة بالنسبة إليه، هو يرتبط بها كل الارتباط، فإذا تمثل الكون بهذه الوسيلة عن طريق السؤال والجواب، فإنه يتكون بذلك شكل نسميه الأسطورة الكونية»³.

¹- بيار ماشيري، كونت الفلسفة والعلوم، ص36.

²- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 17.

³- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

السؤال هو المحرك الأساس لصياغة النصوص الأسطورية، هو الذي يدفع بالإنسان إلى التعجب والتأمل في الظاهرة الكونية وإسقاط مفاهيم دينية وانفعالات نفسية على الظاهرة، ومن بعد ذلك بناء تصور عام حولها تتسلسل فيه الأحداث، وتُصاغ في قالب سردي يحفظ الذهنية البدائية وتأثرها بالكون وتأثيرها فينيا لغاية اليوم، بذلك يمكن القول أن الأسطورة تعبر عن حدث يبقى مائلا أبدا، فخلق الكون لازال الإنسان يبحث فيه وعنه.

ونضيف أيضا أن الأسطورة «هي التعبير عن الحقيقة بلغة المجاز»¹، كثيرة هي الأساطير التي تروي حدث الخلق والتكوين نحو أسطورة التكوين السومارية التي تقول بأن الإلهة " نمو " وهي المياه الأولى، أنجبت " أن " إله السماء المذكر و "كي" إلهة الأرض تزوج "أن" ب "كي" فأنجبا "أنليل" إله الهواء أبعد "أنليل" أباه عن أمه، فرفع السماء وبسط الأرض، أنجب "أنليل" أبنه "نانا" إله القمر، وأنجب ابنه "أوتو" إله الشمس إلى نهاية الأسطورة التي تصور مراحل الخلق، وترى أن المياه هي الأسبق في الوجود عن بقية العناصر الأخرى، ثمة تشكلت العناصر الأربعة للوجود الماء، التراب، الهواء، النار.²

نذكر في هذا الصدد أيضا ما عبرت عنه الباحثة نبيلة إبراهيم في تفسير علاقة الأسطورة وارتباطها بالإنسان في أحداثه البسيطة والمعقدة قائلة «الأسطورة تختص بالظواهر الكونية»³، فالإنسان أراد بناء عالم مواز للعالم الذي يحيا فيه من خلال إدراكه لكيفية بدء التكوين والظواهر الطبيعية التي تبحث عن ذلك فتحيط به من كل جانب، وعليه - الإنسان - أن يعقد صلة معها وفق ما تقتضيه مخيلته في نسج عناصر الأسطورة نحو الأسطورة المصرية القديمة التي تجعل أوزوريس إله للخصب والجذب بعودته للحياة تزهر الأرض ويسعد أهلها وينزوله الى العالم السفلي يحل الجذب وتفتقر الحياة لبهجتها واخضرارها، لذلك

¹ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، 1978، بيروت، ص 79.

² - ينظر طلال حرب، أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 94.

³ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 18.

تم تمجيد أوزوريس والاحتفاء به بصعوده للأرض فرحا ونزوله إلى عالم الأموات حزنا بحسب الممارسات المتبعة في ذلك.

ب* الأسطورة التعليلية:

من بعد ما صاغ الإنسان الأول قصصا وأخبارا عن كيفية الخلق ومراحله، شرع في تفسير وتحليل الظواهر الطبيعية التي تحيط به وإعطاء تعليقات تصنعه لحدوث أمر دون الآخر أمامه بتلك الهيئة، فالأسطورة التعليلية حاول فيها الإنسان تعليل الظواهر الكونية وتفسيرها «... هي وليدة التأمل الموضوعي في ظاهرة قد تبدو غريبة وتحتاج إلى تعليل، ويمكننا أن نقول بشيء من التجاوز، أن الأسطورة التعليلية محاولة لاصطناع أسلوب منطقي في تفسير الأشياء في عصر غاب عنه الأسلوب العلمي لفهمها»¹.

تعليل الإنسان للظواهر الكونية كان أمرا عاديا، نظرا لغياب المنهج العلمي السليم والواضح في تفسير الظاهرة ووضعها في إطارها الصحيح، دون الحاجة إلى تخمينات وتأويلات أو تصورات تنطلق من اعتبار الوجود وكل ما يتصل بها خاضع لقوى غيبية، فمثلا في الحضارة الإغريقية الذهنية أنداك عللت بقاء شجرة الدلب خضراء مدى العام، إلى أن جوبيتر كبير الآلهة سحر نفسه ثورا أبيض واختطف الآلهة أوروبا ثم تزوجها تحت شجرة دلب وخذلت عليها أوراقها منذ ذلك اليوم، فهي لا تيبس ولا تسقط أبدا².

كلما بدت حادثة أو ظاهرة ما غريبة عن الإنسان حاول بشتى الطرق معرفة أسبابها ودوافعها، ويكون بإيجاد تبريرات أو تفسيرات فردية أو جماعية تصوغها الجماعة التي ينتمي إليها «الإنسان البدائي تأمل الكون الفسيح ثم سرعان ما نجم عن هذا التأمل تعجب، ثم نعم عن ذلك التعجب تساؤل ثم نجم عن ذلك التساؤل الحاح شديد من قبل هذا الإنسان

¹ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 28.

² - طلال حرب، أولية النص نظرات في النقد والقصة والاسطورة والأدب الشعبي، ص 96.

على نفسه، وعندما لم يجد الإجابة الحقيقية وضع تفسيراً من عنده أقنع به نفسه والآخرين، فهدأت نفسه وقرت عينه ورأى أن ذلك هو عين الحقيقة»¹.

ج* الأسطورة الحضارية:

مر الإنسان بمراحل مختلفة تنوعت طبيعتها ونتائجها، وكل مرحلة أضافت إلى المرحلة اللاحقة، فالإنسان البدائي تميز برغبته الملحة لكشف أسرار الكون والتعرف عليه وعلى انتظامه، فقد ميز وجود عناصر ثنائية متضادة تتناوب في الظهور نحو الليل، النهار، البحر واليابسة، السماء والأرض، الشمس والقمر، الإنسان والحيوان، الإنسان والإله، إلى غيرها من الثنائيات التي أقرت بحتمية وجودها ودورها الأساس داخل نظام الكون.

فبعد مرحلة التفسير أو التعليل بدأ يبحث في كيفية تأطير حياته بنظم خاصة تميزه عن باقي الموجودات «على أن الإنسان الذي انشغل بنظام الكون حقبة من الزمن، لم يغفل عن التفكير في نفسه وفي وظيفة وجوده في الأرض، وقد هداه تفكيره إلى أن يكون لحياته نظام شبيه بنظام الكون»²، فتساءل عن كينونته فوجدها مختلفة ومنفصلة عن بقية الحيوان فهو له القدرة على الاكتشاف وصنع حياته وتنظيم أموره، لذا بدأ في رحلة البحث عن عوالمه الخاصة نحو تحديد قائمة طعامه وطريقة تحضيرها فصنع الرمح والقوس للصيد من بعدها أكتشف النار ودورها في انضاج الطعام والتدفئة.

فاختلف بذلك عن الحيوان الذي يصطاد الفريسة وينهشها نيئة ويشرب دمها، ثم قام بالتعرف على العلاقات الاجتماعية التي تربطه ببني جلدته فميز على المسموح والممنوع في العلاقات الاجتماعية والجنسية ومعرفة القيم الأخلاقية وكذا ببقية الكائنات ففيها القوي والضعيف، وبالنسبة للمحيط الجغرافي فهناك البحر والبر وفي كل منها مصادر للرزق مختلفة.

¹ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 25 ص 26.

² - المرجع نفسه، ص 31.

فبحث الإنسان عن كيفية بناء حياته الاجتماعية وتطويرها كان مصدرا أساسيا للأسطورة الحضارية «التي تكشف عن صراع الإنسان مع الحياة لإصراره على الانتقال من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية»¹، أي أن الأسطورة الحضارية تعبر عن التطور الحاصل في مستوى تفكير الفرد من البداية إلى السعي لتطوير سبل عيشته واكتشاف الحقائق والتعلم.

د* الأسطورة الرمزية:

تتعلق الأسطورة الرمزية بتغير نظرة الإنسان إلى الشخص الأسطوري، فقد أصبح يقوم بتحليل تصرفاتها والبحث في دوافعها ونتائجها وآلياتها السلطوية وعلاقته بها، بدأ يضع الأسطورة في قوالب جديدة متشكلة من فهمه الخاص لأبعادها وما ترمز إليه، فالأسطورة منطقها الرمزي الذي تتعامل به مع معطيات الواقع والفكر الإنسان يقوم بترجمة تلك الرموز والاستمرار في تداولها وقولا وفعلا ولذا عدت الأسطورة «نوع من الحقيقة أو معادل للحقيقة، وليس منافسا للحقيقة العلمية أو التاريخية بل رافداتها»².

ينفتح نص الأسطورة على أبعاد مختلفة بحسب قراءتنا لها نحو أسطورة بيسيبي وكيوبيد ففيها يظهر صراع الإنسان مع الآلهة بخاصة فينوس إلهة الجمال والدة كيوبيد مع بيسيبي الفتاة الجميلة المغرورة، وكذا تحول بعض من الآلهة إلى في صنف البشر ويتعاطفون معهم مثل كيوبيد أحب بيسيبي بكل جوارحه ومساعدته لبيسيبي في تحمل المشاق والمتاعب، كل ذلك يجد فيه الإنسان ملاذا أمانا لتعبير عن رغبته في العيش بسلام مع الآلهة والعمل على تحسين علاقته مع الآلهة ومحاولة إيجاد توازن بينه وبينهم وبينه وأبناء قومه.

¹ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 29.

² - رينيه ويلك وأوستن وراين، نظرية الأدب، ترمحي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987، لبنان،

فكثير من الباحثين ذهبوا إلى أن الأسطورة «هي الشكل القصصي لتلك الرموز النمطية العليا»¹، التي يضيف عليها الإنسان جانب من القداسة والتعظيم فترسخ في الذهن والوجدان وتسري مجرى الدم في العروق، وتبقى ترسبات تلك الرموز داخل الأنساق الثقافية للجماعة الشعبية إلى آخر الزمان فالأسطورة «تشير أحيانا إلى أقاصيص الأقدمين وأحيانا إلى أشكال الأيمان المختلفة، أو أن لها وظيفة الكتابة الخلاقة أو الكتابة الرمزية»².

هـ* أسطورة البطل المؤله:

نوع من الأساطير الذي يمتاز فيها الإنسان ببعض الصفات الخاصة التي تخصه بها الآلهة دون سواه من بني البشر، كنوع من الإقرار غير المباشر بقدرات الإنسان الضعيفة والمحدودة أمام عظمة الآلهة وجبروت سطوتها، فصراع الإنسان معها محسوم من البداية ببقائه تابعا لها، متخوفا من غضبها فيقدم لها القرابين ويتلو التراتيل الدينية، في مناسبات خاصة ويحاول جاهدا كسب رضا الآلهة والتقرب منهم كلما سنحت له الفرصة وإمكاناته للقيام بالأمر على أكمل وجه.

ومن بين الأساطير التي تصور امتلاك الإنسان لصفات خاصة بالآلهة، نجد ملحمة جلجامش فهي ملحمة وفي الآن ذاته تمتاز بخصائص الأسطورة «ترجع ملحمة جلجامش إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وكانت معروفة من الألف الثانية قبل الميلاد، إلا أن الرواية الأكثر اكتمالا تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد»³.

ويعتبر جلجامش من أقدم الأبطال المؤلفين ضمن الأساطير على نحو عام، وهو بطل آشوري بابلي، كان ملكا في بلاد سومر ويحكم مدينة أروكا أو أورول- بحسب المصادر المختلفة - كان ثلثاه إلهًا وثلث الباقي منه إنسانا.

¹ - جبر إبراهيم جبرا، الأسطورة والرمز، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، 1980، بيروت، ص 5.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ساندرز، ملحمة جلجامش، ترنيل نوفل وفاروق حافظ القاضي، دار المعارف، 1970، مصر، ص 9 ص 10.

الملحمة مقسمة إلى اثني عشر لوحا، وفي نهاية كل لوح بداية للوح الذي يليه وتدور أحوالها حول البطل جلجامش وصديقه انجيدو الذي مات، وهام جلجامش على وجهه في الأرض بحثا عن عشبة الخلود ولم ينجح في ذلك، وعاد إلى مملكته خائبا لتثبت الملحمة أن الخلود من صفات الآلهة فقط.

ومهما تعددت أشكال الأسطورة «تضع الإنسان بكليته في مواجهة العالم وبجميع ملكاته العقلية والحدسية، الشعورية واللاشعورية، ونستخدم كل المجازات الممكنة من أجل تقديم رؤية متكاملة لهذا العالم، ذات طابع كلي يعادل تجربة الإنسان الكلية وغير المتجزئة»¹، فالأسطورة تعبير عن رؤى وأفكار الإنسان في مراحل تطور العقل البشري وتتوعد أنماط العيش والتجارب الإنسانية.

الجنس الأدبي الذي سنتعرف عليه أيضا في هذه المحاضرة هو الخرافة الشعبية، التي تشكل رؤية خاصة للإنسان الشعبي حول الكون وآماله ورغباته، تمتزج فيما بينها لتؤلد عالما غريبا يرى فيه الفرد تنفيسا عن مكبوتاته وما يطمح له، فما هي الخرافة؟ وما هي خصائصها؟

2-1- تعريف الخرافة

بالبحث عن تعريف لغوي للخرافة نجد ما أورده ابن منظور في معجمه لسان العرب بأن «الخرافة هي الحديث المستملح من الكذب، وقالوا: حديث خرافة، ذكر ابن الكلبي في قولهم حديث خرافة؛ أن خرافة من بني عذرة أو جهينة، اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: وخرافة حق، وفي حديث عائشة رضي الله عنها، قال لها حديثيني، قالت: ما أحدثك بحديث خرافة، والراء فيه مخففة، لا تدخله الألف واللام لأنه معرفة إلا أن يريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل، أجروه على

¹ - فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، دار علاء الدين للنشر، 1997، دمشق، ص 22.

كل ما يكذبونه من الأحاديث، وعلى كل ما يستملح ويُتعجب منه»¹، يُفهم من قول ابن منظور أن الخرافة كل قول أساسه الكذب بأسلوب ممتع يجلب انتباه السامع ويثير فيه التشويق لباقي المسرود على مسامعه، ويركز القول على أن الخرافة مبنية على الكذب لذا تُسرد ليلاً.

أما اصطلاحاً فيُعرفها فريدريش فون لاين بأنها «هذا الإحساس بالشكل أي السعي وراء نظام محدد في التفاصيل الذي يخضع لقواعد محددة، ولا يخص الحكاية الخرافية وحدها، إنما كل الأنماط الشعبية الأخرى، هو الذي حدد شكل الحكاية الخرافية وحدها، وأرغم ادباءنا المشهورين في عالم الأدب أو غيرهم من المجهولين في الأوساط الشعبية، كما أرغم القصّاص جميعاً على أن يخضعوا لهذه القواعد»²،

يركز فريدريش فون لاين على شكل الحكاية الخرافية، كونه قصة سردية والقواعد التي تتحكم فيها المحتوى المتضمن للخوارق والغيبيات.

وتعرفها نبيلة إبراهيم على أنها «شكل أدبي تلتقي فيه ظاهرتان للطبيعة الإنسانية، ظاهرة الميل إلى الشيء الصادق والطبيعي، فحيث تلتقي هاتان الظاهرتان توجد الحكاية الخرافية، على أن هاتين الظاهرتين يتحتم أن تجمع بينهما علاقة صحيحة، فإذا لم توجد هذه العلاقة الصحيحة، فقدت الحكاية الخرافية سحرها، وقيمتها وهذا يعتمد بطبيعة الحال على ذوق الكاتب ومهارته»³.

يُقصد من هذا القول أن الحكاية الخرافية شكل أدبي تمتزج فيه ظاهرتان تتصف بهما الطبيعة الإنسانية الأولى: الشيء أو الأمر الصادق، والثانية الطبيعة، وتمازجهما ينتج الحكاية الخرافية، شرط إيجاد العلاقة بينهما الصحيحة، فالإنسان يحلم بأمر يسعى لتحقيقها فيتخذ الحكاية الخرافية على سبيل المثال كنوع من المعادل الموضوعي لحلمه،

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج9، دار صادر، بيروت، دت، دط، مادة (خ، ر، ف)، ص66.

² - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، ط3، دت، مصر، ص81.

³ - المرجع نفسه، ص25.

فيجعل البعيد قريبا بصورة تبدو واقعية إلى أبعد حد، فيصدق الحلم الواقع، ويلتحمان في نص الحكاية الخرافية.

الجدير بالذكر أن الحكاية الخرافية تُسرد ليلا في الغالب، إذ إنه حسب المعتقد الشعبي المرأة التي تسردها بالنهار يسقط شعر بناتها، وكذا لأن شخوص الحكاية الخرافية بعيدة عن الواقع والمألوف، ومنها أبرزها الغولة التي لا تخلو أي حكاية خرافية منها فهي «مخلوق ضبابي الملامح يقع بين الحيوان والإنسان، فتارة تسكن في مغارة، وتارة قصرا فخما، وتملك قدرة الانمساخ فتتصور في شكل امرأة لتلحق الضرر بالآدميين، وتقوم بأعمال آدمية كأن تطحن الحبوب، وتطبخ وتغزل الصوف، وهي تتوق إلى الحصول على طبيعة بشرية فتحاول الزواج من الآدميين، لكن من دون جدوى إذ يتم كشفها ويُقضى عليها»¹.

خصائص الحكاية الخرافية

- مجهولة المؤلف
- متداولة مشافهة
- شخصياتها متنوعة بين البشر والأغوال والجن والعفاريت
- تصاغ في قالب سردي متسلسل الأحداث ومترايط
- فيها عقدة وحل
- تجسد ما يحلم به الفرد في قالب خارق
- تتمتع شخصياتها بكثير من الخوارق لتسهيل مهامها
- خفة حركة شخوصها للوصول إلى مبتغاها
- تجسد العالم المجهول؛ الغول الجن والعفاريت
- عالمها عالم تجريدي

¹- ناصر البقلوطي، مقولات في التراث الشعبي، تير الزمان، 2005، تونس، ص121.

- عناصر الاتفاق بين الأسطورة والخرافة:
- هما شكلين أدبيين شعبيين.
- يُعبران عن نظرة الإنسان للكون ورؤاه حوله وحول رغباته وأحلامه وآماله.
- كلاهما نتاج المخيلة الشعبية فلا يُعرف لهما مؤلف معين.
- يتداولان مشافهة.
- يتوارثان جيلا بعد جيل.
- الشخصيات تتنوع بين البشرية والخرافة.
- عناصر الاختلاف:
- الأسطورة ترتبط بالمعتقد الديني لذلك فهي مقدسة.
- الخرافة تنزع نحو العالم الغريب واللامتوقع.
- الزمن في الأسطورة مقدس لأنها تروي مغامرات الآلهة.
- الزمن في الخرافة غير معلوم.

خلاصة القول:

- تتمتع كل من الأسطورة والحكاية الخرافية بمكانة خاصة في نفوس متناقليها.
- الأسطورة تحظى بقُدسية لدى معتقليها لأنها مرتبطة بعالم الآلهة والطقوس والممارسات الدينية.
- تنتقل الأسطورة والخرافة إلى عالم متوقد ممزوج بين الواقعية والعجائبية.
- تصور الأسطورة والخرافة ما يحلم به الفرد ويسعى لتحقيقه.

مواكبة للتطور العلمي المتسارع وتنوع المعارف وتفرعها، فقد أسهم ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة على تطور آخر في مجال الأدب والفنون، تبعاً لذلك تعددت مناهج دراسة الأدب وشكلت نظريات ومدارس فكرية جديدة تسعى لا تسكناه الأدب، واستخلاص خصائصه وجماليات أجناسه، والأدب الشعبي على مدار التاريخ عرف قفزات نوعية في دائرة البحث فيه، ولا يمكن حصرها في فترة دون الأخرى، إلا أن كل فترة تاريخية بحق أظهرت منهجاً مختلفاً لدراسة الأدب الشعبي والإهتمام بنقائص المنهج السابق، وهكذا إلى أن ضجت الساحة الأدبية الشعبية بمجموعة هامة من المناهج وفي هذه المحاضرة سنتعرف على أبرزها وأكثرها شهرة واستخداماً وهي: المنهج التاريخي الجغرافي، والمنهج النفسي، المنهج الوظيفي، المنهج البنيوي.

فماهي أسس كل منهج؟ وفيما تتمثل مرجعياته وأهدافه؟

1. المنهج التاريخي الجغرافي

يعتبر هذا المنهج من بين أهم مناهج تحليل الأدب الشعبي والتراث الشعبي على العموم، إذ تعود بداياته إلى نظرية الإستعارة أو نظرية الموضوعات الراحلة أو المتحولة، تتحول فيها العناصر الثقافية من مكان إلى آخر وخلال تواريخ مختلفة، وذلك في منتصف القرن التاسع عشر (ق 19)، بسبب تزايد نشاط دراسة ثقافة المستعمرات والمناطق الشبيهة بها في الشرق الأدنى¹، وقد قدم المستشرق الألماني تيودور بنفي (Theodor Benfy) محاولة تفسير جديدة لأسباب التشابه في ثقافة الدول المستعمرة، وترجم مجموعة من الحكايات الهندية، ترجع إلى القرن الثالث ميلادي عنوانها البناشتنترا.

يستند هذا المنهج إلى أن «الظواهر الثقافية الشعبية يمكن أن تظل بمعالمها اللفظية أو المادية على حالها، بينما تضيف عليها الثقافة مدلولاً جديداً، أو تخلع عليها وظيفة مغايرة، فهذا جزء من التحولات التاريخية التي تطرأ على التراث الشعبي، والتي تكشف عن

¹ - أنظر: محمد الجوهري، علم الفولكلور "دراسة في الأنثروبولوجية الثقافية"، ج1، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، ط3، 2000، مصر، ص 96.

الطبيعة الديناميكية لشخصية شعب من الشعوب، إلا أن فهم هذه الدلالات الجديدة للعناصر القديمة، لايتسنى دون الرجوع إلى السياق التاريخي لتلك الثقافة»¹.

إضافة إلى أنه لا يتصل اتصالاً وثيقاً بالعمل والنشاط الإقتصادي والبيئة الطبيعية والظروف الجغرافية، فعناصر الأدب الشعبي لا بد وأن ترتبط بالبيئة والتاريخ فهما يسهما في تشكله وتداوله وانتشاره.

ومن أبرز ممثلي هذا المنهج أو الإتجاه سميت طومسون، إذ قام بدراسة ثمان وستين رواية تم تدونها من حوالي أربعين قبيلة من قبائل الهنود الحمر «توصل إلى أن الشكل الأساس للحكاية الشعبية نشأ في منطقة السهول الوسطى قبل القرن الثامن عشر، وتحرك القصة عن طريق الإنتشار من قبيلة إلى القبائل الأخرى»².

يقوم الباحث بدراسة مكونات المدونة الشعبية برصد التأثيرات التاريخية الجغرافية وإعادة بناء تلك المكونات وبناء الأحداث، وتوضيح العوامل والعناصر الفاعلة فيها وهو أيضا «مخول بدراسة وتتبع أي ظاهرة إجتماعية في هذه الجماعة أو تلك، بدأ من تأريخ الجرف والمهن مثلا، أو تطور اللهجات، أو تطور الأنماط العمرانية»³.

تجدد الإشارة إلى أن المنهج التاريخي الجغرافي ارتبطت بالمدرسة كان لها دور كبير في تسهيل عمل دراسي الأدب الشعبي في العالم وتوحيد جهودهم، إضافة إلى أن المنهج التاريخي الجغرافي يهتم بصورة أكبر بدراسة نصوص القص الشعبي من مسلمة مفادها أنّ الحكاية التي لها عدد كبير من الروايات لا بدّ وأنها نشأت في زمان ومكان معينين، وهي صادرة عن عملية إبداع إرادية واعية، وتكون هذه الحكاية قد وصلتنا من مركز الإبداع إلى جهات أخرى، وانتشرت فوق رقعة جغرافية تتسع باستمرار، وهذا الإنتشار يأخذ شكل دوائر

¹ - رشوان أحمد حسين، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، 1993، مصر،

ص

² - المرجع نفسه، ص 25.

³ - عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي "الموضوعات الأساليب، المناهج، دار أسامة للنشر والتوزيع،

2008، الأردن، ص 203.

تتسع باضطراد، فهو يشبه الموجات الآخذة في الإتساع، ويتم ذلك بمساعدة عوامل التجارة والرحلات الجماعية والإشعار¹.

يتبع المنهج التاريخي الجغرافي الخطوات الآتية:

- اختيار الحكاية موضوع الدراسة.
- جمع نصوص مختلف روايات هذه الحكاية.
- تحليل الحكاية الأساسية إلى وحدات أو عناصر أساسية.
- إعداد خرائط جغرافية تبين التوزيع الجغرافي لهذه الحكاية.
- إعداد جداول النسب المئوية لعدد مرات ظهور كل عنصر على حدى في منطقة معينة.
- تحديد أقدم عناصر الحكاية عن طريق الإستعانة ببعض مبادئ التنوع الناتجة عن عملية النقل الشفاهي مثل (التركيز، الإحكام، الإبدال).
- تحديد الطراز المنشئ الذي انبثقت عنه روايات الحكاية المدروسة ومراكز إبداعه، ودروب ارتحالها التاريخية عبر القارات عن طريق ثلاث نقاط وهي:
 - الموثيقات التي ترد بوفرة في النصوص أو الروايات المسجلة.
 - الإهتمام بالأحوال الطبيعية لأنها تساعد في تحديد الأصل المكاني للروايات.
 - الإهتمام بالملاحم التي تنتشر في مساحة مكانية شاسعة لأنها أكثر أصالة من تلك التي تنتشر في مكان محدد.²
- مع انتشار تطبيق المنهج التاريخي الجغرافي على مدونات الأدب الشعبي تباينت الآراء حوله والتي ركزت على انتقاد بعض أسسه، بخاصة أن هناك صعوبة كبيرة في الوصول إلى معرفة الطراز المنشئ، وكذلك عدم دقة تحديد دروب ارتحاله التاريخية ونقطة بدئه الجغرافية في كثير من الحالات، وهذه الإنتقادات لاتنفي أهمية هذا المنهج ومساهمته الفاعلة في تطوير الدراسات الأدبية الشعبية في الشقين النظري والتطبيقي.

¹- أنظر: دوروسون، نظريات الفلكلور المعاصرة، تر محمد الجوهري و حسن الشامي، دار بور سعيد، 1972، مصر، ص 45، 46.

²- المرجع نفسه، ص 46.

2. المنهج النفسي:

انتشر المنهج النفسي مع الأبحاث التي قدمها عالم النفس النمساوي سيمجون فرويد، وتوالي الأبحاث مع كل من أدلر وكارل يونج، فمدرسة التحليل النفسي استندت على الأساطير والحكايات الشعبية والنكت والمحرمات، ما أعطى تفسيراً جديداً للظواهر الاجرام السماوية «فالحكايات الشعبية والأساطير الخرافية التي كانت قد فسرت من قبل بأنها تصور معركة سماوية، والصراع بين الشمس والليل، والعاصفة الرعدية والسماء، أصبحت تفسر الآن بأنها تصف المعانات الشهوانية للذكر والأنثى، وأصبح البطل الشمسي مثل "أخليوس" و"تيسميون" و"بروسيسون" و"هرقليس" بأنه عضو ذكر الرجل، وأصبح الليل الذي يحتوي لأشياء بأنه عضو المرأة»¹.

استعاناً فرويد بمجموعة من الأساطير والحكايات الشعبية لاستكشاف العقل الباطن، وجعل الأحلام تحفة فنية رمزية عن الرغبات المكبوتة، نحو أسطورة أوديب كانت تدل على الرغبات والدوافع الغامضة المكبوتة عند الأطفال الذين صاروا بالغين.

وتابع تلامذة فرويد أبحاثه وإحداثه وإكتشافاته جديدة على مستوى فهم طبيعة النفس البشرية، فينوع لم يعتمد كثيراً على الغرائز بل أقر أنه هناك شخصيات ومواقف هامة تمثل الجانب المظلم من الشخصية في الأساطير والحكايات، وتحدث يونغ على دور الشعور واللا شعور الجمعيين في تكوين شخصية الإنسان «تلك القوى المتدفقة في اللا شعور التي تدفع الإنسان نحو الحركة لخوض التجارب حتى يصل إلى الكل الكامل، أو بتعبير آخر حتى يصل إلى حالة الإنسجام مع الوجود كله، وهو يعيش جنباً على جنب مع قوة لاشعورية أخرى هي قوة الغريزة، بل وصاحبها، وكأنه إنسان خيرٍ بصحبة إنسان شرير، يحاول أن ينفلت من تأثيره، وينتصر عليه، وحتى يصل الإنسان إلى مرحلة الإنسجام التام مع الوجود الكلي، فإنه يمر في رحلة نفسية طويلة يصورها أروع تصوير»².

فالنمط الذي بنى عليه يونغ أبحاثه يشكل المغزى الذي يقبله الشعور ويتمثل بمحتواه فيظهر السلوك النفسي من منطلق التأثيرات الشعورية والغرائز اللاشعورية.

¹ - المرجع السابق، ص 101-102.

² - نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، المكتبة الأكاديمية، 1994، ص 221.

تطور البحث في التحليل النفسي فاستفادت بذلك الدراسات الشعبية بشكل واضح، نذكر في هذا السياق أدولف شبار صاحب نظرية "تمط الإنسان الشعبي"، أوضح شبار أن العوامل الأساسية المحركة للتاريخ الثقافي، لا يمكن دراستها وتحليلها إلا من خلال المظاهر التي تتضح فيها المواقف الفكرية والنفسية والأساسية.¹

إضافة إلى ما قام به أوتورنك في إحدى مصنفاته "أسطورة ميلاد البطل" التي قدم فيها دراسة نفسية تحليلية مقارنة في مختلف الميثولوجيات، هذا وقد استفادت الحكايات الشعبية من توسع أبحاث المعجم النفسي، من خلال فروم الذي عمد إلى فهرسة الرموز الفرويدية، فالعصي والأشجار والمظلات والسكاكين والمطارق والطائرات... ترمز إلى عضو الذكورة، أما علب المجوهرات والحدائق والأزهار ترمز لعضو الأنوثة، وتمثل الأحلام والحكايات التي تدور حول الرقص والركوب والتسلق والطيران للإستمتاع الجنسي، ويرمز تساقط الشعر لعملية الخصي.

أما أشخاص الحكاية: السلطان، الملك، الأمير، الصياد هم بدائل للأب والملكة هي الأم وزوجة الأب الشريرة هي الوجه الآخر من الأم، أي ذلك الجانب من شخصيتها الذي يحاول تلقين الطفل واجباته، ويقاضيه على مخالفته.²

فيما يخص خطوات تطبيق المنهج النفسي في قليل الحكاية الشعبية فهي كالاتي:

- تفسر الحكاية الشعبية وفهم مضامينها الخفية.
- اقتناص مضمرات الحكاية الشعبية.
- تتبع الرموز الظاهرة والخفية داخل الحكاية الشعبية.
- تحديد النمط الأصلي مثلا الشخصية الأب والأم.
- استخراج المسارات التي يتخذها البطل وصولا إلى مرحلة اتخاذ الشعور بالاشعور وتحقيق الكل المتكامل.

¹ - أظر: نبيلة غبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، 1974، لبنان، ص133.

² - أظر: برونو بتلهاميم، التحليل النفسي للحكاية الشعبية، تر طلال حرب، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، 1985، بيروت، ص11.

الجدير بالذكر أيضا أن المنهج النفسي في تحليل الحكاية الشعبية اتخذ منحيين الأول جنسي صرف بزعامة سيجموند فرويد، والثاني اللاشعور الجمعي والنمط الأصلي للام في صورها السلبية والإيجابية، وكذا الأب.

3. المنهج الوظيفي (المورفولوجي)

أرسى دعائم هذا المنهج الباحث الروسي فلا ديمير بروب V.Propp انطلاقا من تحليل مائة حكاية شعبية روسية، استخلص من خلالها أسس هذا المنهج ضمن كتابة الأشهر "مورفولوجية الحكاية الخرافية"، سنة 1928م، واتخذ مصطلح مورفولوجية من مصدرها الأصلي، يقول «تعني كلمة مورفولوجيا دراسة الأشكال، وتعني في علم النبات دراسة الأجزاء المكونة للنبات وعلاقتها ببعضها البعض وبالكل، وبمعنى آخر دراسة بنية النبات»¹.

أسقط بروب هذا المفهوم على الحكاية الشعبية بعد ملاحظته أن الوحدات النصية في مائة حكاية - عناصر ثابتة وعناصر أخرى متنوعة: قيم ثابتة *valeurs constantes* وقيم متغيرة *valeurs variables*.

القيم الثابتة سماها بروب "وظائف" وهي عمل الشخصية من وجهة نظر دلالاته في مجزى الحكاية، وهي أيضا الوحدة الأساسية لبنيتها الشكلية الداخلية، ومن خلال بحثه -بروب- توصل إلى حصر إحدى وثلاثين وظيفة في أي نص حكاوي، لما تكون جميعها يصبح نصا مثاليا، وقد اشترط عدم تواليها متتابعة فقد تحضر الوظيفة الرابعة قبل الثانية.

الوظائف:

الوظيفة الأولى: رحيل، وفاة.

الوظيفة الثانية: منع.

الوظيفة الثالثة: خرق المنع.

الوظيفة الرابعة: استخبار.

الوظيفة الخامسة: اطلاع.

الوظيفة السادسة: خداع.

¹ - فلاديمير بروب، مورفولوجية الحكاية الخرافية، تر أبو بكر أحمد باقادر وأحمد عبد الرحيم نصر، النادي الثقافي بجدة، 1988، المملكة العربية السعودية، ص48.

- الوظيفة السابعة: تواطؤ.
- الوظيفة الثامنة: إساءة.
- الوظيفة التاسعة: وساطة.
- الوظيفة العاشرة: قبول التفويض.
- الوظيفة الحادية عشر: انطلاق.
- الوظيفة الثانية عشر: اختبار.
- الوظيفة الثالثة عشر: رد فعل البطل.
- الوظيفة الرابعة عشر: تسلم أداة سحرية.
- الوظيفة الخامسة عشر: الغنقال إلى مكان آخر.
- الوظيفة السادسة عشر: صراع.
- الوظيفة السابعة عشر: رسم، علامة.
- الوظيفة الثامنة عشر: انتصار.
- الوظيفة التاسعة عشر: إصلاح الإساءة.
- الوظيفة العشرون: عودة.
- الوظيفة الحادية والعشرون: مطاردة.
- الوظيفة الثانية والعشرون: نجدة، مساعدة.
- الوظيفة الثالثة والعشرون: عودة البطل خفية.
- الوظيفة الرابعة والعشرون: مطالبات كاذبة، أخبار كاذبة.
- الوظيفة الخامسة والعشرون: مهمة صعبة.
- الوظيفة السادسة والعشرون: إنجاز المهمة.
- الوظيفة السابعة والعشرون: معرفة واكتشاف البطل الحقيقي.
- الوظيفة الثامنة والعشرون: كشف البطل المزيف.
- الوظيفة التاسعة والعشرون: معاقبة البطل المزيف.
- الوظيفة الثلاثون: ظهور البطل في شكل جديد.
- الوظيفة الواحدة والثلاثون: مكافأة (زواج).

محاضرة مناهج تحليل الأدب الشعبي (التاريخي، الجغرافي، النفسي، الوظيفي، البنيوي)

وعند تحليل الحكاية الشعبية نقسم النص إلى مقاطع ومتواليات سردية تضم كل متوالية مجموعة من الوظائف والتي لها أصناف خمسة وهي:

أ- ماقبل وضعية إفتتاحية

اضطراب

ب- أثناء تحول

حل

ج- مابعد وضعية إختتامية

والخطوة الأخرى هي العناصر المساعدة والتي تربط بين الوظائف وحددها بروب في:

• الإخبار

• الحوار

• إخطار شيء معين

تم دوائر أفعال الشخصية فكل شخصية في الحكاية الشعبية مرتبطة ارتباطا وثيقا ببرنامج إردى خاص بها

1. دائرة فعل متعدي

2. دائرة فعل الشخصيات المساعدة

3. دائرة فعل الشخصية المانعة

4. دائرة فعل المرسل

5. دائرة فعل المرسل إليه

6. دائرة فعل البطل الحقيقي

7. دائرة فعل البطل المزيف

المنهج المورفولوجي الوظيفي مهّد الطريق لبقية المناهج النقدية المعاصرة المهمة بالسرد، بمجموعة من الباحثين أمثال كلود بريمون وغريماس ورولان بارت وغيرهم الذين استفادوا من أبحاث بروب وأضافوا إضافات خاصة بالنسبة لمناهجهم الودية نحو السيميائية والبنيوية.

4. المنهج البنوي

انبثق هذا المنهج في البداية من محاضرات العالم اللساني السويسري فرديناند دي سويسر واهتمامه الجاد باللغة وكل مايتصل بها، «أحدثت أفكار دي سويسر بدراستها للغة موضوعا مجردا ونسقا نوابضه خارجة عن الفرد، عن الواقع المادي، أثرا تدميريا للفاعل البسكيولوجي الحر الواعي، الذي ظل سائدا في التفكير الفلسفي وفي العلوم الإنسانية حتى نهاية القرن التاسع عشر»¹، من بعد ذلك تعمقت الأبحاث بجهود الشكلايين الروس. يهتم المنهج البنوي بمكونات العمل الأدبي وعناصر تركيبها، والبحث في كل مكون على اعتبارها بنيات صغرى تنتظم مع بعضها البعض لتشكل بنية كبرى «إن هدف البنية سيظل محاولة لفهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية، ودراسة علائقها وتراتبها، والعناصر الهيمنة على غيرها وكيفية تولدها، ثم كيفية أدائها لوظائفها الجمالية والشعرية على وجه الخصوص»².

فالبنيوية ترمي إلى كشفخصائص العمل الأدبي ودراسة عناصره الداخلية، دراسة تسعى إلى معرفة كيفية ترابط هذه العناصر وعملها معا مستقلة عن أي عوامل خارجية.

عند تحليل النص السردي ينطلق القارئ من بنيات النص نحو: الشخصية بالبحث في أنماطها ووظائفها. كذلك رصد عنصرى الزمن والمكان، فالزمن السرد يعد «مجموعة من التقنيات التي تعمل على حركته إلى الأمامى أو الوراء أو إستباق لأحداث لم يصلها السرد بعد، فينطلق السرد بعد، فينطلق السرد من زمن الحاضر نحو المستقبل»³، إن هذه الحركية التي تنشط في الأحداث، والتأرجح بين الماضي والحاضر والمستقبل تساهم بشكل فعال في جعل السرد أكثر حيوية ويكون وفق:

1. الترتيب: على مستوى الإسترجاع* والإستباق*.

¹ - ماري آن بافو، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر محمد الراضي، المنظمة العالمية للترجمة، 2012، بيروت، ص 105.

² - يوسف وغليسي، البنية والبنيوية، بحث في النسب اللغوية والإصلاح النقدي، الجزائر، دت، ص 50.

³ - فيصل غازي النعيمي، مجالات البناء الروائي عند غادة السمان "دراسته في الزمن الردي"، مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2014، الأردن، ص 21.

*الإسترجاع: توقف الراوي عن متابعة سير الأحداث في الزمن الحاضر ليعود إلى الزمن الماضي مسترجعا مواقف وشخصيات ماضية.

2. المدة: على مستوى السرعة من حيث تسريع الحكي وتبطنته.

3. التواتر: على مستوى عدد مرات حكي المادة الحكائية.

بالنسبة للمكان والذي يعد مكونا هاما في العمل السردي، ففي المنهج البنيوي يهتم الإهتمام بكافة مظهراته المفتوحة والمغلقة، وإسهامه في تنشيط حركة السرد.

هذه الخطوات أبرز الآليات الإجرائية للمنهج البنيوي، والمحلل للمادة الحكائية الشعبية سيستفيد من تطبيق هذا المنهج أو بقية المناهج الأخرى، فالأمر لا يقتصر على منهج دون الآخر، والساحة الأدبية والنقدية الآن تعرف تنوعا كبيرا على مستوى المدارس والنظريات والمناهج والتي بدورها ستثري عمل الباحث في ميدان الدراسات الشعبية حاضرا ومستقبلا.

خلاصة:

نستخلص مما تقدم من معلومات في هذه المحاضرة أن

- ❖ الأدب الشعبي ميدان خصب للبحث والدراسة.
- ❖ تنوعت أجناس الأدب الشعبي وتعدد موضوعاته، أفرد مجموعة هامة من مناهج دراسته.
- ❖ المنهج التاريخي الجغرافي يسمح للباحث الشعبي بمعرفة العناصر التاريخية والجغرافية المكونة لكل عمل أدبي شعبي.
- ❖ يسمح المنهج النفسي بدراسة واستكشاف أنماط وتمظهرت الضمير الجمعي في العمل الحكائي الشعبي.

*الإستباق: يقدم الراوي أحداثا مستقبلية لاحقة متحققة على سير الأحداث.

حضيت الصورة الفنية باهتمام بالغ من قبل اللغويين والنقاد، كل بحسب سياقه ببحثه، كما أنها كانت ولا زالت محط اهتمام الباحثين من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، بالبحث والدراسة والنقد، قصد بيانها وتحديد خصائصها والعناصر التي تقوم عليها، فهي من أهم ركائز العمل الأدبي والإبداعي على الإطلاق، وعلى هذا الاعتبار فالأدب الشعبي هو الآخر يستند إلى معيار الصورة الفنية ويوليها عناية فائقة. وفي هذه المحاضرة سنرصد أهمية الصورة الفنية في الأدب الشعبي من خلال معرفة مفهوم الصورة الفنية؟ والأسس التي تقوم عليها؟ حضور الصورة الفنية في الأدب الشعبي؟.

1. مفهوم الصورة الفنية:

يجمع أغلب الباحثين والنقاد على أن الجاحظ أول من أثار قضية التصوير الفني، قضى فيها بما يراه لائقاً بالأدب والشعر وما عده مناطاً للحسن والجودة، قائلاً «المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها الأعجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير»¹، ويضيف في موضع آخر «الشكل الذي تتخذه هاته المعاني بعد النسج أو التصوير، الذي يمثل تجسيد تلك المعاني عن طريق الألفاظ على أن تخضع هذه الألفاظ لوزن معين وأن يتم تخيرها بحيث تستوفي المعنى الذي يريده الشاعر»².

نفهم من هذا أن المعنى والأفكار موجودة لدى جميع البشر ولكن الأهم عملية تخريجها للعلن وإيصالها للمتلقي، فالجاحظ، يشبهها بعمل النساج الذي يأخذ الخيوط ويقوم بنسج اللباس أو السجاد بطريقة محترفة تنقل الخيوط من مجرد مادة خام إلى تحفة فنية تستحق الجهد والتعب من جهة أخرى يقاس الشعر حسب ابن قتيبة بقيمة اللفظ والمعنى وتقسيمه إلى أربعة أضرب «ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه، وضرب تأخر معناه،

¹ - الجاحظ، الحيوان، ج3، تح عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، 1996، مصر، ص 132.

² - المرجع نفسه، ص 131.

وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه، وضرب حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى»¹.

فأجود الشعر عنده ما حسن لفظه وجاد معناه بمعنى انسجم الشكل مع المعنى فيكون مبنا ومعنا، فلا يقتصر على الشكل دون إفادة المعنى ولا التصوير والتنسيق دون وجه حاجة بل يجب أن يكون هناك انسجام وتناغم تام بين اللفظ والمعنى ويرى الآمدي أن أجود الشعر أبلغه «والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة، مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد، على قدر الحاجة ولا تنقص نقصانا يقف دون غاية»².

بالنسبة لحازم القرطاجني يعتبر الصورة أساس التخيل «التخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، وتصور شيء آخر بها، إنفعالا من غير رؤية إلى جهة الإنبساط والإنقباض»³، فالصورة الفنية عند حازم القرطاجني تقوم على تخيل الشاعر للألفاظ تتناسب المعاني وعقد الصلات بين الواقع والاممكن، فيصل إلى ذهن السامع بكل يسر وسهولة، فتتشرح النفس بسماعه ويرتاح العقل لفهمه.

في حين يعتبر محمد ناصف بأن الصورة «تستعمل للدلالة على ماله صلة بالتعبير الحسي، وتنطلق أحيانا مرادفة لاستعمال الإستعاري للكلمات»⁴، أي ان الصورة أساسها الحس الذي يحرك الجانب التخيلي في المبدع فيوظف أنماطا لغوية بعينها قصد تصوير المعنى المراد توصيله للمتلقي «الصورة تقوم على أساس حسي لأن مدركات الحس هي المادة الخام التي يبني لها الشاعر تجاربه، وكل أثر رائع من آثار الفن-فيما يقال- ليست إلا تعبيراً بلغة حسية عن معنى رفيع، ولكن هذه الحسية لا تعني الإنحسار في إطار

¹ - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط3، 1977، مصر، ص72.

² - الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، 1994، القاهرة، ص380.

³ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، 1966، تونس، ص21.

⁴ - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، ط2، 1981، بيروت، ص8.

خاصته بعينها، ولا تعني محاكاة الإحساسات بشكل عام، فهذا يجعل الصورة الفنية طرازا رديئا من طرز المحاكاة»¹.

فيما يرى عبد الإله الصائغ بأن الصورة «نسخة جمالية فنية تستحضر الهيئة الحسية أو الذهنية للجسام أو المعارف، بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر، ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما: المجاز والواقع، دون أن يستبد طرف بآخر»².

بمعنى أن الصورة الفنية تنقل الأمر الحسي أو المادي إلى مصاف التوليف الفني، فتجتمع العناصر فيما بينها لتحقيق تناغما وانسجاما بين الصورة الواقعية والإنتاج التخيلي، وإذا انتقلنا إلى حضور الصورة الفنية في الأدب الشعبي موضوع هذه المحاضرة، فلا غرو أن نستأنس بالصورة الفنية الكثيرة التي أبدع المبدع الشعبي في نقلها من أديم الواقع إلى مخيلة الشعب بأدق التفاصيل وأنبض المعاني الفنية.

لا يمكننا حصر حضور الصورة الفنية في الأدب الشعبي فكل جنس من أجناسه يحفل بها، كما وتتشكل بداخله بتلوينات مختلفة تحدث حالات وانفعالات متفاوتة في المتلقي، فالمبدع الشعبي ينوع في اختيار مصادر صورته الفنية، نحو قول الشاعر الشعبي الجزائري خالد بن أحمد

ما تَظْفِرُ بِمَسْوِكٍ وَلَا تَمَشْطُو
وَاحْوَجِبْ فِي قِرْطَاسٍ نون منقوط

ذوك العينين مدافع لعدو طرفو
لاقي يا ربي في نهار مبسوط³

الشاعر يصور شدة إعجابه بمحبوبته ويزين رسم الصورة فهي لديها حاجبين مثل حرف النون وعينيها مدفع من يراها تصيبه بلحظها، هذا التصوير يجعل المتلقي راغبا أكثر فأكثر في إكمال القصيدة حتى تكتمل عنده الصورة الكلية لمحبوبة الشاعر.

¹- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، مصر، ص340.

²- عبد الإله الصائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، المركز الثقافي الغربي، 1997، بيروت، ص99.

³- عبد القادر فيطس، الشكل الفني للشعر الملحون الجزائري، مهاد نظري ودراسة تطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، الجزائر، ص136.

محاضرة الصورة الفنية الأدب الشعبي

يعد الشاعر الشعبي قديمه حضنا دافئا يحتوي الصورة الفنية، ولا يمكن أن ينعدم من حضور الصورة الفنية البسيطة أو المركبة مثلا: يقول الشاعر الشعبي خالد بن أحمد:

وَيْحُ اللَّيِّ مَا يَبْكِي اعْقَابَهَا إِذَا ارْغَبَ يَنْقِصُ وَاتْلُوْخُ ظَلَامَهَا عَلَى النُّوْزِ

وشاعر شعبي آخر:

الْآخِرَةَ مَعَ ضِرِّثِهَا يَا عَاقِلُ لَا اتَّضِنُهُمْ فِي مَوْضِعٍ يَتَعَاشَرُوا¹

بالنسبة لجنس شعبي أدبي آخر نجد اللغز الشعبيين أهم العناصر التي يتركب منها وهي حسن التصوير نحو: تاكل بلا سنين، وتطير بلا جنحين: الرصاصة.

تجري ولا حد يجري معاها، لا تقدم خطوة ولا ترجع خطوة وراها: الطاحونة.

ففي المثالين (اللغز الأول والثاني) لغة بسيطة سلسلة ألف بينها المبدع الشعبي لتكوين جملة لغزية تقوم على استدعاء مكملات الصورة الذهنية والتخيلية التي رسمها صاحب اللغز.

والأمر ذاته في مختلف الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى التي تعتمد على فنيات التصوير ولا يسعنا المقام هنا حضرها ولكننا من خلال المحاضرات السابقة عن عرض كل فن أدبي شعبي وضحا عناصره والتي من بينها الصورة الفنية.

خلاصة:

في ختام هذه المحاضرة نستخلص أن:

- ❖ الصورة الفنية تنطلق من نقل الحسي الظاهر إلى التركيب التخيلي.
- ❖ الأدب الشعبي لا يستوي دون حسن التصوير ودقة التبليغ.
- ❖ الصورة الفنية عنصر أساس في الأدب الشعبي.
- ❖ كل شكل من أشكال الأدب الشعبي تحتفي بتوظيف الصورة الفنية ويتقن في تركيبها.

¹ - المرجع السابق، ص 163.

يعترض الدس أو المتهم بالأدب الشعبي بمجموعة من المصطلحات التي تتسم بالغموض واللبس في كثير من الأحاسيس، فيكون من الضروري والواجب إزالة ما بها من غموض كي يتمكن من التغلغل أكثر فأكثر من دراسة الأدب الشعبي إن كان تنظيراً أو تطبيقاً، ومن بين جملة تلك المصطلحات نجد العجائبية فيما تعنيه أو كيفية توظيفها في أشكال التعبير الشعبي؟

1- العجائبية؛ المصطلح المفهوم:

شمل مصطلح العجائبية في كثير من المصنفاة اللغوية والأدبية على مجموعة من التوضيحات نحو ما ذكر ابن منظور في مصنفة لسان العرب إذ أن «العجيبية والأعجوبة والتعجيب: العجاء لا واحد لها من لفظها العجيب، الأمر يعجب منه وأمر عجيب: معجب، وقولهم: غير مألوف ولا معتاد»¹، فالعجيب عنده مالم يتوافق مع ما هو معتاد أو مألوف لدى العامة، فمشاهدته أو التعرض له يجعلنا نقول نقول إنه شيء عجيب.

أما في القرآن الكريم فقد وردة لفظة العجيب في قوله تعالى «قالت يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بحلي شيخا إن هذا الشيء عجيب»²، للدلالة على تجاوز منطق البشر وأن الله قادر على كل شي وفسر الزبيدي العجيب بأنه «حيرة تعرض للإنسان عند لسبب جهل الشيء»³، أما القزويني «قالوا العجب: حيرة تعرض للإنسان لقصور عن معرفة بسبب الشيء، أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه»⁴، اقتصر العجيب على كل أمر يصادف المرء فيثير حيرته ويستفسر عنه وعن سبب حدوثه، وفي هذا الصدد يقول الزجاج «أصل العجب

¹ - ابن المنظور، لسان العرب، مج 11، دار صادر، بيروت، ص 38.

² - سورة هود، الآية [72].

³ - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح عبد الكريم العزايوي، ج3، 1967، ص 319.

⁴ - زكريا القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تح فاروق سعد، دار الآفاق الجديد، 1977، بيروت، ص

في اللغة أن الإنسان، إذا رأى ما ينكره ويقول مثله قال: قد عجبت من كذا؟!¹، أو كما قال ابن سيده إنكار ما يرد عليك لقلة إعتياده².

الأقوال السابقة اتجهت في اتجاه أن العجيب يتلخص في الأمر المخالف لما هو معتاد أو الأمر الذي يثير الحيرة والتساؤل كيف حدث ولماذا؟ وما الهدف منه؟ وسنضيف أيضا مجموعة من التعريفات اللغوية قصد استنتاج بعض عناصر العجائبية قبل الانتقال إلى الشق الإصطلاحي يقول محمد علي التهانوي «العجب إنما هو للمعنى الخفي سببه (...)»، رأى ابن باجة أن العجب هو استخدام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره³، يرى الزمخشري «العجيب هو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره»⁴.

من خلال ما ورد سابقا نستخلص بعض مفاهيم المادة اللغوية لمصطلح العجائبي وهي:

- الحيرة.
- الإستفسار وجهل سبب حدوث الأمر المعجب.
- مفارقة الألفة والمعتاد.
- تحريض الإنسان للكشف عن غموض الأمر.
- لا وجود لنظيره أو ما يشاكله.
- العجيب لا يعني المتكرر «ليس كل شيء مدعاة للتعجب فالعجب لا يكون مع الشيء المؤلف والمعتاد، وذلك على نقيض الشيء المتكرر الخارج على المؤلف

¹ - محمد بن أحمد الأزهاري، تهذيب اللغة، تح عبد السلام هارون، ج1، المؤسسة

² - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح مصطفى السقا وحسين نصار، ج1، 1958، ص 205.

³ - محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج4، تح لطي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1372، القاهرة، ص941.

⁴ - محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، 1997، بيروت، ص625.

والمعتاد، وذلك على نقيض الشيء المنتكر الخارج على المؤلف الذي ربما كان ادعى للعجب بداهة»¹.

بالنسبة للشق الإصطلاحي نورد ما ذكره الشكلائي الروسي تزفيطان تودوروف على اعتبار أنه أول من أشار إلى المصطلح وخصصه بالبحث والدراسة في مؤلف عنوانه "مدخل إلى الادب العجائبي" «لا يوجد العجائبي بحصر المعنى... يحدث الأثر العجائبي فعلا خلال جزء من القراءة فقط... قبل أن نكون واثقين من أن الأحداث فوق الطبيعة لن تتقبل أي تفسير»²، فالعجائبية عند تودوروف تتأسس على الأثر الذي يتركه فعل القراءة في المتلقي، ذلك الأثر ينشط القارئ ويحدث فيه دهشة تتجاوز خطية أفق التوقع والإنتظار، فالعجائبي هو «التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير قوانين الطبيعة، فيما يواجه حدثا فوق الطبيعي حسب الظاهر، بمعنى أن ثمة قوانين جديدة غير مألوفة يجب قولها في تفسير الظواهر الطبيعية، يستند السرد فيه إلى تداخل الواقع والخيال وتجاوز السببية وتوظيف الإمتساخ والتحويل والتشويه ولعبة المرئي واللامرئي، دون أن ننسى حيرة القارئ بين عالمين متناقضين: عالم الحقيقة الحسية وعالم التصور والوهم والتخيل فهذه الحيرة هي التي ترفع المتقبلين حالتي التوقع المنطقي والإستغراب غير طبيعي أمام حادث خارق للعادة لا يخضع لأعراف العقل الطبيعية وقوانينها»³.

بين تودوروف أن العجائبي يتلخص في الحيرة التي يقع فيها القارئ بين عالمين خفي وجلي معقول ولا معقول، عالمين يجتذبان القارئ لتصور صلات تتجاوز حدود العقل والمتعارف عليه والطبيعة وقوانينها، ويحدد تودوروف في موقع آخر موجبات تحقق العجائبية وهي:

¹- لؤي علي خليل، العجائبي والسرد العربي "النظرية بين التلقي والنص، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2014، لبنان، ص104.

²- تزفيطان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر الصديق بوعلام، دار شرقيات، 1994، القاهرة، ص57.

³- المرجع نفسه، ص18.

«لا بد أن يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كما لو أنهم أشخاص أحياء، وعلى التردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق طبيعي للأحداث، قد يكون هذا التردد محسوسا بالمثل من طرف شخصيته فيكون دور القارئ إليها، ... وضرورة اختيار القارئ لطريقة خاصة في القراءة»¹.

شروط العجائبية بحسب تودوروف ثلاث عناصر وهي: 1-دمج القارئ للشخصيات من عالم واقعي ممكن إلى عالم لا واقعي متخيل، 2-إحداث القارئ لتواصل خاص مع الأثر الأدبي، 3-انتقاء القارئ لموجه قرائي ينطلق منه في مقارنة النص وتفسيره وعيه الخاص به.

يرى الباحث عبد الفتاح كليطو أن العجائبي «ناتج عن انحراف مقصود عن المعايير»²، أي تخطي وتجاوز المؤلف والمعتاد في الكتابة الأدبية من طرف الكاتب، فيثير رغبة وإحاحا لدى القارئ في تلقي العمل الأدبي، وتذوقه بوعي وإدراك لمضامينه الخفية والجلية في النص ذاته إذ أن في العجيب «تسود قوانين فوق طبيعته غير قوانين الواقع المؤلف، فتبدو هذه القوانين قابلة للإختراق»³.

نكتفي بهذا القدر من عرض حول العجائبية مصطلحا ومفهوما وسنورد فيما يأتي بعضا من أشكال أو حضور العجائبية في الأدب الشعبي.

تحفل نصوص الأدب الشعبي النثرية والشعرية على السواء بقدر كبير من العجائبية بحسب الموضوع والسياق الذي يكلف فيه، والذي تم تداولها فيه من جديد فمثلا الأسطورة تخترق قوانين الطبيعة وتعمل على إقناع المتلقي بأحداثها بعيدا عن كونها تحمل تفكيراً دينياً- فهي من جهة أخرى تفتح باب التخيل والخرافق، نحو استعانة البطل بقدرات خارقة من الآلهة

¹- المرجع السابق، ص18.

²- عبد الفتاح كليطو، المقامات السرد والانساق الثقافية تر عبد الكبير الشراوي، دار توبقال، 1993، الدار البيضاء، ص42.

³- لؤي علي خليل، العجائبي والسرد العربي: النظرية بين التلقي والنص، ص118.

لتحقيق أهدافه أو استخدام الآلهة لقوى غير مرئية إما للمكافأة أو العقاب، ولنا شواهد كثيرة في ذلك نحو أسطورة أوديب أو أسطورة سبيشي وكيوبيد أو أسطورة نرسييس.

وفي هذا يذكر الباحث علي زيعور إن الكرامة والأدب الشعبي متأصلان في الوعي الشعبي ويؤمنان بالعجائبية وخرق السنن¹.

والأمر عينه بالنسبة أيضا للحكايات والخرافات الشعبية وكذا السير الشعبية يصبغ الراوي الشعبي على البطل صفات خارقة تمكنه من تجاوز الصعوبات، نحو تمكينه من الإستحواذ على وسيط سحري عجائبي «وهو المتعلق بالأدوات المسحورة التي تترك انطباعا عجيبا، مثل بساط الريح والتفاحة والطاقة، وهذا الجانب من العجائبي الأدائي صار يعتمد أدب الخيال العلمي متخذا من تلك الأدوات العجائبية سمات جوهرية في حكيه»².

فالوسيط السحري عنصر مهم في النصوص الأدبية الشعبية كالمكنسة للمشعوذة والناي السحري، والصولجان وغيرها من الأدوات التي إن كانت في يد البطل دلت على الخير وإن كانت في يد الشخصية الشريرة، ستكثر المواجهات والمغامرات وهذا الأمر -استخدام الوسائط السحرية- يجعل المتلقي أو السامع يستمتع بالأحداث ويرغب في النص الحكائي ويحفظه ويتداوله بشكل متواصل.

خلاصة

نستنتج في ختام هذه المحاضرة أن العجائبية في الأدب الشعبي تتأتى من خلال ما يأتي:

- تجاوز وتخطي المؤلف.
- القفز فوق القوانين الطبيعية.

¹ - علي زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، سلسلة التحليل النفسي للذات العربية(2)، دار الأندلس، 1984، بيروت، ص260.

² - شعيب خليفي، شعرية الرواية الفنتاستيكية، منشورات الإختلاف، 2009، الجزائر، ص53.

محاضرة العجائية في الأدب الشعبي

- الإرتكاز على عنصري الإدهاش والإختراق.
- الإبتعاد عن نمطية المعايير.
- جل فنون الأدب الشعبي تحمل في طياتها تجليا واضحا للعجائية.
- العجائية في الأدب الشعبي عنصر لا يمكن إغفاله أو إسقاطه.

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان	الرقم
أ	مقدمة	01
02	مفردات المادة	02
03	محاضرة الأدب الشعبي المصطلح والمفهوم	03
08	محاضرة الأدب الشعبي والفولكلور والأنثربولوجيا	4
17	محاضرة تصنيفات الأدب الشعبي	05
24	محاضرة أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي	06
32	محاضرة الشعر الشعبي الملحون ومجالاته	7
38	محاضرة القصص الشعبي وأنواعه وتصنيفاته	08
54	محاضرة الأغاني الشعبية ومجالاتها	09
60	محاضرة السير الشعبية	10
65	محاضرة الأمثال الشعبية	11
74	محاضرة الألغاز والنكت الشعبية	12
85	محاضرة الأسطورة والخرافة	13
102	محاضرة مناهج تحليل الأدب الشعبي (التاريخي الجغرافي، النفسي، الوظيفي، البنوي)	14
112	محاضرة الصورة الفنية في الأدب الشعبي	15
16	محاضرة العجائبية في الأدب الشعبي	16
	فهرس الموضوعات	17